أنثروبولوجيا الحركات الاجتماعية النقلة الثقافية

Anthropology of social movements

A cultural turn

د. سيد فارس- كلية الآداب – جامعة بني سويف، مصر

ملخص: تكترث الأنثروبولوجيا المعاصرة بمقاربة وبحث العلاقة بين "السياسة" و"الثقافة"، وتتجه أنثروبولوجيا الحركات الاجتماعية إلى بحث ثقافة الحركة الاجتماعية كما تتجلى في ظواهر مثل الهوية الجمعية، والتأطير، والرموز، والخطاب العام، والحكايات، والبلاغة. وتركز على المدى الذي تتجسد فيه الثقافة في الأفراد والجماعات، خاصة بعد أن شهدت الحركات الاجتماعية تحولاً من التركيز على الطبقة، والسلالة، وقضايا سياسية تقليدية أخرى، إلى الأساس الثقافي. وتتجلى الثقافة بطرق متنوعة في ظهور وتشكل الحركة الاجتماعية، وفعالياتها، وأنشطتها، وممارساتها. ويتضح دور البعد الثقافي بجلاء في مراحل مثل تشكل الهابيتوس والهوية الجمعية، كما يكون حاضراً في التطور الواقعي لمراحل مثل تأطير الاهتمامات، وتصميم المثاليات أو المبادئ المثالية. وأخيراً، تتردد أصداء البعد الثقافي في أشكال القيادة، وأنماط الحشد والتعبئة، والحقيقة أن الثقافة ليست مجرد بعد يرافق ويلازم ظهور الحركات الاجتماعية، لكنها تتخلل صراعات الحركات الاجتماعية ونضالاتها، وقد تعتبر الثقافة شيئاً نافعاً للجماعة القائمة بالحشد والتعبئة ومصدر قوة، وهنا تصبح الثقافة مورداً، ولكن في حالات أخرى، تتخذ الثقافة شكل سمة جمعية تعوق وتعرقل التعبئة الفعالة، ويتشكل نشاط أعضاء الحركة بالظروف الثقافية، وتشكل الحركة ثقافة فرعية خاصة بها، وتؤثر في الخطاب العام، وتجلب تغيرات ثقافية إلى المجتمع، ويمكن الدفع بأن الحركات الاجتماعية لا تتشكل بالثقافة فقط، لكنها تشكل الثقافة وتعيد تشكيلها. لذلك تركز هذه المقاربة على: (1) الدراسة الأنثروبولوجية للحركات الاجتماعية: النقلة الثقافية، (2) المقاربة الأنثروبولوجية للحركات الاجتماعية القديمة والجديدة،(3) معالم المنظور الأنثروبولوجي، (4) تأثيرات الثقافة، وتجسيداتها، في الحركات الاجتماعية، (5) مستقبل أنثروبولوجيا الحركات الاجتماعية، وأنثروبولوجيا الحركات الاجتماعية العربية.

الكلمات المفتاحية : أنثروبولوجيا الحركات الاجتماعية، النقلة الثقافية، الثقافة، الحركات الاجتماعية القديمة والجديدة، المنظور الأنثروبولوجي، مستقبل أنثروبولوجيا الحركات الاجتماعية.

Abstract: Contemporary anthropology is interested in examining the relationship between politics and culture. Anthropology of social movements tackles the movement's internal culture, as manifested in certain phenomena such as collective identity, framing, symbols, public discourse, narratives, and rhetoric. However it concentrates on how culture is embodied in individuals and groups, and this was a result of a shift occurred in social movements from class, race and classical political

issues, to cultural base. Culture is manifested in the emergence and formation of a social movement and its practices and activities. The role of cultural dimension is obvious in stages as formation of habitus and collective identity, and it is present in the real development of stage as framing interests and grievances, and molding ideals. And finally, cultural dimension is manifested in forms o leadership, and types of mobilization. Culture is not only a dimension stings along with social movement's emergence, however it permeates and penetrates movement's conflicts and struggles. Culture is considered a useful resource, and sometimes a collective trait hinders mobilization. The activities of participants is formed by cultural conditions, and the movement molds an internal culture, and affects public discourse, and brings changes to society. Social movements are not only molded by culture, they mold culture too. Therefore the present study focuses on investigating: (1) the anthropological study of social movements: the cultural turn. (2) the anthropological approach to old and new social movements. (3) the traits of anthropological perspective. (4) the influences and embodiments of culture in social movements. (5) the future of the anthropology of social movements and Arabian anthropology of social movements.

Key words: Anthropology of social movements, the cultural turn, culture, old and new social movements, anthropological perspective, the future of the anthropology of social movements.

مقدمة

تتجه الأنثروبولوجيا المعاصرة إلى بحث العلاقة بين "السياسة" و"الثقافة"، وذلك من منطلق أن السياسة تعمل في سياقات ثقافية مختلفة، وتتأثر بهذه السياقات، بتعبير آخر تعد السياسة مشوبة ثقافياً، وتتوارى الثقافة خلف الكثير من الصراعات، والحقيقة أن إضفاء الصبغة السياسية على الثقافة قد أفضى إلى زعزعة افتراضات الأنثروبولوجيين عن الاختلاف الثقافي، واللغة التي نستعملها للحديث عنه، وقد تعالى الحديث عن سياسات الاختلاف الثقافي بعد الحادي عشر من سبتمبر عام 2001(Spencer, 2007,p6).

وتؤكد الأنثروبولوجيا السياسية المعاصرة على تغلغل السياسة والقوة في كافة مناحي الحياة، وتعتبر حساسية الأنثروبولوجيا لشمولية القوة والسياسي وتخللهما إحدى نقاط قوة هذا الفرع (Vincent, 2002, p644)، وتتعامل أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة مع السياسة الموجهة بالفاعل agent-driven politics، ومن الموضوعات التي تركز عليها الهيمنة والمقاومة (Kurtz, 2001, p17)، ويسود في الأنثروبولوجيا السياسية تصور مؤداه أن الشعوب تسحقها قوة الدولة، لذلك يوجه الأنثروبولوجيون انتباههم بصورة متزايدة إلى الطرق التي من خلالها يقاوم الناس بصورة عنيفة أو غير عنيفة (Lewellen, 2003, p112-113)، وقد أفضى ذلك، في الآونة الأخيرة، إلى بروز موضوعات "أنثروبولوجيا الديمقراطية"، و"أنثروبولوجيا المواطنة"، و"أنثروبولوجيا الحركات الاجتماعية".

إن دمج المتغيرات الثقافية في دراسة الحركات الاجتماعية بدا مفقوداً لفترة طويلة، لكن منذ ثمانينيات القرن المنصرم تتخذ دراسة الحركات الاجتماعية والفعل الجمعي في الولايات المتحدة "منحى

ثقافياً"، ومنذ ذلك الحين ذاع مفهوم الثقافة وراج في الأدبيات الأكاديمية، واتجه الباحثون إلى تطوير ومراجعة اتجاهات فهم الثقافة والحركات الاجتماعية، وتعكس نظرية التأطير[1]، وفكرة الهوية الجمعية، ودراسة أدوار الانفعالات في أفعال وأنشطة الحركة، والنتائج أو المصاحبات الثقافية للنشاط السياسي، كل ذلك يعكس الاندماج والتشابك بين الثقافة والفعل الجمعي، وقد صار من الأهمية بمكان دراسة البيئة الثقافية التي تظهر فيها الحركة الاجتماعية، وكيفية تشكيل هذه البيئة للفعل الجمعي، ويشمل ذلك إقصاء الحركة الاجتماعية الواحدة عن المركز باعتبارها مستوى للتحليل، وتوجيه اهتمام متزايد للكيفية التي من خلالها توجه إتاحة الموارد الثقافية المشروعة مسارات نشاط الحركة وتكبحه وتقيده(Williams, 2004, p91).

وتتجه بحوث الحركات الاجتماعية المعاصرة إلى بحث ثقافة الحركة الاجتماعية كما تتجلى في ظواهر مثل الهوية الجمعية، الرموز، الخطاب العام، الحكايات، والبلاغة (Johnston &Klandermans,2004a, vii)، وتركز على المدى الذي تتجسد فيه الثقافة في الأفراد والجماعات (Salman &Assies, 2007, p235)، خاصة بعد أن شهدت الحركات الاجتماعية تحولاً من التركيز على الطبقة، والسلالة، وقضايا سياسية تقليدية أخرى، إلى الخلفية أو الأساس الثقافي (Melucci, 2004, p41)، لقد كانت الثقافة دوماً محورية في أنواع العمليات التي يتناولها باحثو الحركات الاجتماعية بعامة، مثل تعيين هوية مشتركة، وتنمية التضامن، وفعل التعبئة، والحقيقة أن الحركات الاجتماعية هي المواقع التي تتشكل فيها الموارد الثقافية الجديدة، مثل الهويات والأيديولوجيات، بصورة متكررة (Swindler, 2004, p30).

تتجلى الثقافة بطرق متعددة ومتنوعة في ظهور وتشكل الحركة الاجتماعية، وفعالياتها، وأنشطتها، وسلوكياتها (Salman &Assies, 2007, p207)، وتتجلى أهمية الثقافة في كل جوانب الحركات الاجتماعية تقريباً، ويتشكل نشاط أعضاء الحركة بالظروف الثقافية، وتشكل الحركة ثقافة فرعية خاصة بها، وتؤثر في الخطاب العام، وتجلب تغيرات ثقافية إلى المجتمع، ويفضي ظهور ثقافة جديدة إلى ظهور أنواع جديدة من الحركات الاجتماعية(Zhao, 2010, p33)، ويمكن الدفع بأن الحركات الاجتماعية لا تتشكل بالثقافة فقط، لكنها تشكل الثقافة وتعيد تشكيلها، وتُكيف وتُصاغ الرموز والقيم والمعاني والإيقونات والمعتقدات لتناسب أهداف الحركة، ثم تغرس في الثقافة السائدة عن طريق المأسسة والصيغ المتكررة (Johnston &Klandermans, 2004b, p9).

ويتضح دور البعد الثقافي بقوة في مراحل مثل تشكل الهابيتوس Habitus والهوية الجمعية، كما يكون حاضراً في التطور الواقعي لمراحل مثل تأطير الاهتمامات، وتصميم المثاليات أو المبادئ المثالية، وما يصاحبها من شعارات، كذلك يتجلى البعد الثقافي في تشييد واختراع الأساطير التاريخية والأبطال والشخصيات والحوادث النموذجية، وأخيراً تتردد أصداء البعد الثقافي في أشكال القيادة وأنماط الحشد والتعبئة، حتى نماذج المواجهة، والتوقعات والتنبؤات بالمخاطر، وبالأفعال المضادة للخصم، وبالخيارات المتعلقة بتقديم تنازلات أو "الإصرار على تحقيق ونيل كل شيء أو لا شيء"، كل ذلك توجهه الثقافة وتشكله، إن الثقافة ترافق وتلازم مسار حياة الحركات الاجتماعية، وتحقق ربط المراحل المختلفة بسمات المجتمع الذي يحتضن هذه الحركات، وفى ذلك المجتمع تحدد ترتيبات مطمورة من الناحية الثقافية أشكال تبلور الحركة الاجتماعية، والحقيقة أن الثقافة ليست مجرد بعد يرافق ويلازم ظهور الحركات الاجتماعية، لكنها تتخلل صراعات الحركات الاجتماعية ونضالاتها على نحو تصويري، وبشكل مادي ملموس، أو بصورة مدروسة ومقصودة، وقد تعتبر الثقافة شيئاً نافعاً للجماعة القائمة بالحشد والتعبئة ومصدر قوة، وهنا تصبح الثقافة مورداً، ولكن في حالات

أخرى، تتخذ الثقافة شكل سمة جمعية تعوق وتعرقل التعبئة الفعالة (Salman &Assies, 2007, p210, 238)، وبناءً على ذلك، تتسلّط مقاربة هذه الدراسة للنقلة الثقافية في أنثروبولوجيا الحركات الاجتماعية.

أولاً: الدراسة الأنثروبولوجية للحركات الاجتماعية: النقلة الثقافية

ظل الأنثروبولوجيون لفترة طويلة بعيدين عن التنظير الاجتماعي للفعل الجمعي أو الاجتماعي، ولكن في منتصف ثمانينيات القرن الماضي افتتنوا، في الولايات المتحدة على الأقل، بصور المقاومة اليومية لا المنظمة، وكذا بالتحليلات على مستوى الميكرو للقوة متأثرين في ذلك بفوكو (Edelman, 2001, p285 - 286)، وقد تزامن اهتمام الأنثروبولوجيين المعاصرين بقضايا الفعل الاجتماعي مع نقلة ثقافية حدثت في العلوم الاجتماعية، وبحوث الحركات الاجتماعية، وقد أثر الأنثروبولوجيون في هذه النقلة وتأثروا بها(Brodkin, 2005, p303). فما هي طبيعة هذه النقلة وتأثيراتها؟

صارت الثقافة حاضرة اليوم في كافة مظاهر الحياة الاجتماعية وجوانبها، فمن الممكن شراء الثقافة، وبيعها، وتصميمها، واختراعها، وتسويقها، وأداء وتحقيق دورانها، ونقلها وهجرتها فردياً أو جمعياً في أشكال مادية أو غير مادية، وأصبحت الثقافة مكوناً أساسياً في أساليب الحياة والعوالم الفنية والتبادلات السلعية(Soysal, 2009, p4)، لذلك شهدت العلوم الاجتماعية في نهاية القرن العشرين نقلة ثقافية واسعة، تركت بصماتها على دراسة السياسة والحركات الاجتماعية، واتجهت أنظار الباحثين إلى البحث عن الثقافة داخل السياسة، والواقع أن ما بعد البنائيين من أمثال دريدا وفوكو قد رأوا السياسة في كافة النظم والمظاهر والموجودات الثقافية، وذلك قبل فترة طويلة من إدراك علماء السياسة والاجتماع السياسي لتخلل المعاني للنظم والأفعال السياسية. والبيّن أن إدراك وتقدير الثقافة قد وصل بطيئاً إلى دراسة الحركات الاجتماعية في الولايات المتحدة، وذلك في جانب منه لأن النماذج البنائية قد بلغت مرحلة الإثمار الكامل في السبعينيات والثمانينيات، وما زالت تجتذب جل الاهتمام التحليلي (Jasper, 2007a, p59 - 60).

وتقرر جينيت (Jennett) وستيوارت (Stewart) أنه منذ الثمانينيات تغيرت الاستراتيجيات، وفى هذا الصدد يحاجج تورين (Alain Touraine) بأن السمة الأساسية للمجتمع ما بعد الصناعي تتمثل في أن الصراع التحويلي لابد وأن يحدث على مستوى ثقافي، ويتناقض ذلك مع الرؤية التي عبر عنها ناشطو الحركات الاجتماعية القديمة، والكتاب الماركسيون الذين اعتبروا الصراع الطبقي سمة أساسية من سمات التغير الاجتماعي، وتمثل الحركات الاجتماعية في رأي تورين تحدياً ثقافياً عميقاً، وتعكس خيبة الأمل حيال مشروع الحداثية modernity بالإجمال (McIntyre-Mills, 2005, p82 - 83).

إذن صار الاتجاه إلى التحليل الثقافي ملموساً في بداية ثمانينيات القرن الماضي. فقد ارتأى جارى فاين Gary Fine أن الجماعات الصغيرة تنتج ثقافة خاصة بها تشكل التفاعل ومسار التطور والنمو، وتنامت في نفس الوقت، وسريعاً، دراسات تتخذ من الاتجاهات التركيبية الاجتماعية social constructionism[2] في دراسة الحركات الاجتماعية موجهاً، وتؤكد على العمليات التفاعلية والعوامل التصورية التي تتضافر مع الطرق التي من خلالها تؤثر القوى والمؤثرات الثقافية في الحركات الاجتماعية(Johnston &Klandermans, 2004b, p3-4)، ومنذ نهاية الثمانينيات يندفع البحث بقوة إلى مقاربة الأبعاد الثقافية للحركات الاجتماعية، وقد سيطر مفهوما "الأطر" و"الهوية الجمعية" على هذه الجهود، ويحقق هذان المفهومان استجلاء المعاني الثقافية (Jasper,

(2007b, p4453)، ومنذ نهاية التسعينيات اتجه الباحثون إلى تحليل الحركات الاجتماعية من منظورات ثقافية وسياسية/بنائية، وخلصوا إلى أن فهم العمليات المرتبطة بالحركة مثل التأطير لا يتأتى بمعزل عن السياقات الشاملة الواسعة التي تكمن فيها هذه العمليات، وقد عُرفت هذه السياقات "بالمجالات الخطابية" discursive fields، المصطلح الذي يشير إلى الحقول أو النطاقات الخطابية التي تحدث فيها صراعات المعنى(Snow, 2004, p401 - 402)، ويمكن الدفع بأن الانتقادات التي صُوّبت إلى منظري تعبئة الموارد resource mobilization[3] والعملية الثقافية لتركيزهم المفرط على التنظيم السياسي والتفاعلات مع الدولة قد أفضت إلى "نقلة ثقافية" في نظرية الحركة الاجتماعية، أو ساهمت في تشكيل "منحى ثقافي" في دراسة الحركات الاجتماعية، ويعود هذا التأكيد الجديد على الثقافة إلى الأفكار والقضايا المستقاة من نظرية السلوك الجمعي، كما يدمج أفكاراً مستقاة من نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة، وهناك ثلاثة موضوعات رئيسة تنصب عليها هذه النقلة أو ذلك المنحى: الظروف والفرص الثقافية التي تشجع الحركات الاجتماعية وتساعدها، الثقافات الداخلية التي تشكلها الحركات الاجتماعية، والمخرجات الثقافية للحركات الاجتماعية. وتعتبر الأدبيات العريضة عن تأطير الحركة الاجتماعية، ومجموعة البحوث المتنامية التي تتناول الهوية الجمعية، يعتبر كل ذلك محورياً في تنظير الحركة الاجتماعية للثقافة وعنها (Staggenborg, 2005, p756).

وقد قارب باحثو الحركات الاجتماعية إشكالية العلاقة بين الثقافة والحركات الاجتماعية انطلاقاً من ثلاث قضايا أساسية: الأولى، تفترض العديد من الأرصاد التي تتناول الحركات الاجتماعية أن مسبباتها الأساسية ثقافية، والثانية أنه عند دراسة العمليات والديناميات التي تتيح للحركات الاجتماعية أداء دورها والحفاظ على بقائها، ولقد ركز الباحثون والمحللون على العوامل الثقافية مثل الهوية الجمعية، والمزاعم الأيديولوجية، والانفعالات، ومعايير الجماعة الداخلية، والشعائر، والممارسات، والثالثة أن الباحثين الذين درسوا تأثير الحركات الاجتماعية في المجتمع ركزوا في الغالب على التغيرات الثقافية التي تمثل أهداف أنشطة الحركات وممارساتها(Williams, 2007, p954).

وثمة اتفاق واسع النطاق على أن النقلة الثقافية قد تضمنت عدة اتجاهات متمايزة نسبياً، يتمثل أحدها في تأويل "الحركة الاجتماعية الجديدة" (NSM) الذي استمده العلماء والباحثون الأمريكيون من علماء وباحثي أوربا الغربية مثل يورجين هابرماس (Jurgen Habermas)، وألبرتو ميلكسي (Alberto Melucci)، وأوف (Claus Offe)، وتعد بحوث الحركات الاجتماعية الجديدة ككل رد فعل وتأويل للحركات الاجتماعية الأوربية المعاصرة، مثل حركة الخضر، والتي تركزت على قضايا ثقافية وأخلاقية وقضايا تتعلق بالهوية، لا على التوزيع الاقتصادي، وقد تأثر جانب كبير من علم الاجتماع الأوربي فيما بعد الحرب بالنظرية الماركسية بدرجة كبيرة مقارنة بعلم الاجتماع الأمريكي، وعلى هذا النحو ساد افتراض مؤداه أن الفعل الجمعي يصدر عن المصالح المادية، وأن الفاعلين الجمعيين يمثلون الطبقات الاقتصادية، وكانت الحركة الاجتماعية في نظر العديد من العلماء والباحثين الأوربيين هي الحركة العمالية الاشتراكية، وعلى النقيض تعد الحركات الاجتماعية الجديدة مماثلة "لحملات أخلاقية عنيفة" moral crusades، وقد بدت على هذا النحو ظاهرة جديدة تحتاج إلى التنظير لها بصورة مختلفة بالنظر إلى اللحظة التاريخية التي ظهرت فيها، لذا فالمكون الثقافي في نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة يتعلق بمضمون أيديولوجية الحركة، واهتماماتها التي تثير وتحفز الناشطين، والميدان الذي يتركز فيه الفعل الجمعي – أي التصورات الثقافية والمعايير والهويات، وليست المصالح المادية والتوزيع الاقتصادي، لقد كانت نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة عريضة

في اتجاهها عموماً، وقد احتفظت بالاهتمام الماركسي التقليدي بتبيان الطرق التي من خلالها تنتج الثقافة والفعل الأبنية المجتمعية التحتية، وتعكسها(Williams, 2004, p91 - 92)

ومن المقطوع به أن نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة قد حققت الكثير لدراسة الحركات الاجتماعية في الولايات المتحدة. وقد تم التركيز على "الثقافة" باعتبارها ميداناً للفعل، والتغير الثقافي بوصفه نتيجة لجهود الحركة (وكذلك عاملاً سببياً في التعبئة)، إضافات هامة لمنظور الحركات باعتبارها إصلاحاً سياسياً movements-as-political-reform، وهو المنظور المميز للاتجاهات البنائية مثل اتجاه تعبئة الموارد، على سبيل المثال كان تنظير باحثي الحركات الاجتماعية الجديدة "للهوية الجمعية"، ودورها في ظهور الحركة وإستراتيجيتها وتأثيرها، خطوة تصورية هامة، ومن الإسهامات الهامة لنظرية الحركة الاجتماعية الجديدة اهتمامها الواضح بالارتباطات والعلاقات بين أشكال الفعل الجمعي والمراحل التاريخية والتشكيلات المجتمعية التي وجدت فيها، إن جانباً كبيراً من نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة قد وُجه بصورة صريحة للتطوير داخل التقاليد التحليلية الماركسية، ولم تؤثر في علم الاجتماع الأمريكي بصورة كبيرة. ومع ذلك انتشرت الإسهامات التصورية والتحليلية، بدون الإشكالية الماركسية، خلال علم اجتماع الحركات الاجتماعية(Williams, 2004, p92 - 93).

وعلى النقيض، اتجهت النقلة الثقافية في الولايات المتحدة إلى "استرجاع واستعادة المعنى" وركز على الطرق التي من خلالها استعملت الحركات الرموز، واللغة، والخطاب، والهوية، وأبعاد الثقافة الأخرى لتجنيد الأعضاء، والحفاظ على التزامهم، وتعبئتهم، وتحفيزهم، وقد انبثق هذا العمل عن تصورات متنوعة روجت لها النظرية التفاعلية، التي تستلهم أعمال هربرت بلومر (Blumer)، وتيرنر (Turner)، وكيليان (Killian)، وارفنج جوفمان (Goffman)، وقد اهتم الباحثون في هذا التقليد على وجه التحديد بالعمليات بين الشخصية interpersonal التي من خلالها يفهم الأفراد ما يفعلونه، والكيفية التي من خلالها يجدون الموارد التصورية (الفكرية) والأخلاقية والانفعالية للاستمرار في فعله.

ويعد منظور "التأطير" من الاتجاهات الثقافية المعروفة، ويمثل الإسهام الأكثر أهمية الذي قدمه هذا المنظور في لفت الانتباه والتنظير صراحة للعمل الرمزي، والمتعلق بالمعنى الذي يؤديه ناشطوا الحركة كأن يُبرزوا المظالم والشكايا، ويخلقون إجماعاً على أهمية العمل الجمعي الذي يتعين ممارسته، وعلى صور هذا الفعل، ويقدمون المبررات والأسس المنطقية لأفعالهم والحلول المطروحة على الأنصار والمشاهدين والخصوم. ولا يمثل التأطير الاتجاه الثقافي الوحيد في علم الاجتماع الأمريكي، إذ يستلهم البعض السيميوطيقا، وتحليل الخطاب، والتحليل السردي، ودراسات الأيديولوجيا، إضافة إلى الاهتمام التقليدي بالمعايير والقيم والأفكار، وتشترك هذه الاتجاهات في اهتمام بالمعنى، ومنظور نظري موجه بالفعل بدرجة كبيرة أو محدودة (Williams, 2004, p93 - 94).

وبرز - إلى جانب ذلك - اتجاه متمركز حول الحركة movement-centric بمعنى أن تكون حركة اجتماعية معينة، وناشطوها أو أعضاؤها، والمعاني المرتبطة بها هي وحدات التحليل، والأشياء التي يسعى الباحث إلى استيضاحها. وقد أدى ذلك إلى خطوات واسعة في فهم ما أُصطلح عليه بالأبعاد الداخلية لثقافة الحركة. وتمثل ثقافة الحركة من الناحية التحليلية، المعايير والرموز والهويات والحكايات، وغيرها مما ينتج التضامن والتماسك، ويحفز أعضاء الحركة، ويديم الفعل الجمعي، وفي هذا الصدد تتعلق ثقافة الحركة بالأدوار التي تُنسب على نحو تقليدي للثقافة – الوظائف الدافعية

والتعبيرية والتكاملية (تحقيق التكامل)، وفى حين يهتم جانب كبير من البحوث البنائية التي تتناول الحركة بتأثيرها في إحداث تغير في المجتمع الأوسع، فإن الاتجاهات المرتكزة على التأطير framing-based، وتتناول ثقافة الحركة، تهتم أساساً بالديناميات الداخلية لبدء جهود الفعل الجمعي وإدامتها والحفاظ عليها، وقد اتسعت بؤرة الاهتمام تلك بمرور الزمن، واهتمت بحوث التأطير الأكثر حداثة بقضايا الفعالية العامة public efficacy، وما يماثلها، ولكن "مركز الجاذبية" في أدبيات التأطير ارتكز على قضايا متمايزة تتعلق بتعبئة وإدامة حركة أو مجموعة من الحركات الاجتماعية (Williams, 2004, p94)، إذن، من منظور نسقي شامل تعد الثقافة خصيصة مميزة لبيئة الحركة، وتوجه تطورها، وتحدد أي السلوكيات مشروعة ومقبولة، ويركز اتجاه آخر على الكيفية التي من خلالها تُؤدى المعرفة الثقافية، ويكشف هذا الاتجاه عن أن الثقافة السائدة زاخرة بالفجوات، ومظاهر عدم الاتساق، والتناقضات، ونتيجة لذلك تنبثق رموز وقيم ولغات وأطر بديلة يمكن أن تكون بذوراً للتحدي، والحشد، والتعبئة، وهنا يقرر البعض أن أوقات الأزمة هي قوة الدفع التي من خلالها يتم تعبئة وحشد شفرات أو رموز بديلة في الجدل السياسي، ومن ناحية ثانية ينصب التركيز على العلاقة بين الحركات الاجتماعية والثقافة من منظور الحركة، فالحركات الاجتماعية لا يمكنها فقط أن تنشأ من الصدوع الموجودة في الثقافة، ولكن يمكن كذلك أن تعالج الثقافة، وذلك بقدر ما تستهلك الحركات الاجتماعية الموجود الثقافي، وتدخل تعديلات أو تغييرات عليه، ويقوم الأفراد والجماعات والتنظيمات التي تشكل حركة معينة بمعالجة الثقافة من خلال الإضافة، والتغيير والتعديل، وإعادة البناء، وإعادة الصياغة، ومثل المظاهر الأخرى المميزة للمجتمع الذي يحتضن الحركة، تتم معالجة الثقافة عن طريق تركيب وبناء المعنى، وترتبط القضايا المتعلقة بتركيب وبناء المعنى بالعمليات التي من خلالها يتم تكييف الثقافة وتأطيرها وإعادة تأطيرها عن طريق الخطاب العام، والاتصال المقنع، وزيادة الوعي، والرموز السياسية، والإيقونات، ومن ناحية ثالثة يمكن أن يركز التحليل الثقافي على الثقافة باعتبارها خصيصة مميزة للحركة – نتاجاً للتفاعل داخل الحركة (Johnston &Klandermans, 2004b, p5).

وتؤشر النقلة الثقافية على أن الثقافة تشكل أنشطة الحركة عن طريق ثلاثة ميكانزمات نمطية مثالية: باعتبارها حقيبة أدوات يمكن أن يستعملها المحتجون بطريقة إستراتيجية، وباعتبارها صيغة تغرس في أذهان المحتجين القيم المشتركة التي توجه أفعالهم، وباعتبارها موهبة تصوغ فعل ونشاط المحتجين بصورة غير مقصودة(Zhao, 2010, p46)، وتتوسل الحركات بالثقافة في محاولاتها اجتذاب الأتباع والأنصار، واكتساب المشروعية، وتتنوع طرق قيامها بذلك إذ تلجأ، أحيانا، إلى الإيقونات والأبطال لتحقيق قوة جذب. وتؤدي،أحيانا، شعائر معينة لتحقيق الالتزام الانفعالي أو العاطفي والمؤكد للذات self – assertive لأعضاء الحركة، ويلجأ الأفراد إلى الذخيرة الثقافية القوية والمشاكسة بقصد انتقاد مظاهر الظلم التي يشعرون بها لكن يعجزون عن شرحها وتوضيحها (Salman &Assies, 2007, p252).

وتفرز كافة الحركات الاجتماعية ثقافة داخلية خاصة، بدرجات مختلفة، تؤثر في نمو الحركة الاجتماعية وبقائها واستراتيجياتها. وبالإضافة إلى توليد أطر الفعل الجمعي، تطور الحركات الاجتماعية قيماً وهويات جمعية وشعائر وخطاباً، وللثقافة دور في تدعيم الحركات الاجتماعية، وتشكيل أبنيتها واستراتيجياتها التنظيمية. وتدعم ثقافة الحركة الداخلية تشكل هويات جمعية تؤثر في ظهور الحركة، والتجنيد، والاستراتيجيات والتكتيكات والمخرجات أو النتائج. وينبني التجنيد والتعبئة على تلك الهويات(Staggenborg, 2005, p756)، وقد أدرك الباحثون الذين تناولوا العمليات التي

تجعل بإمكان الأفراد والجماعات التوحد لشن حملة من أجل التغيير الاجتماعي، أن من يتحدون الوضع القائم يواجهون مهمة شاقة جسيمة، ويتفق معظم المحللين على أن تعبئة الاحتجاج تيسره وتساعد عليه قدرة الجماعة على تطوير وإدامة مجموعة من المعتقدات والولاءات التي تناقض وتعارض معتقدات وولاءات الجماعات المسيطرة، وقد أشار الباحثون إلى مجالات أو عوالم الاستقلال الثقافي الضرورية لنشأة وظهور الحركات الاجتماعية باعتبارها "ثقافات تضامن" cultures of solidarity، "جماعات الحركة الاجتماعية" social movement communities، "شبكات خفية"، "ثقافات فرعية معارضة مقاومة" oppositional subcultures، "مرافئ ثقافية" cultural havens، و"أبنية التعطيل المؤقت" abeyance structures. وتشترك كل هذه المفهومات في التركيز على الأفكار والمعتقدات – المظالم المشتركة بصورة جمعية، وأطر الفهم المتميزة – التي تثير الاحتجاج وتحركه (Taylor & Whittier, 2004, p163)، ويحقق التركيز على الثقافة في دراسة الحركات الاجتماعية ربط أنشطة وسلوكيات الحركات الاجتماعية بالأحداث اليومية العادية، وبالبديهي والاعتيادي وروتين الحياة اليومية، وتشكل هذه الثقافة اليومية الواقع الخفي المغمور الذي يمثل الجانب غير المنظور للفعل الجمعي، كما تمثل هذه الثقافة نسيجاً اجتماعياً لطبيعته أهمية محورية لفهم ظهور – أو اختفاء – تشكيلات الاحتجاج الاجتماعي social protest formations، ومدى وحدود التغيرات التي تناضل لإحداثها هذه التشكيلات أو الحركات(Salman &Assies, 2007, p211).

ثانياً: المقاربة الأنثروبولوجية للحركات الاجتماعية القديمة والجديدة

عرّفت الحركات الاجتماعية وأُعيد تعريفها عبر الزمن. وتنوعت الأطر التصورية، ودمجت شيئاً مراوغاً من قبيل "الثقافة" بطرق مختلفة، وتحت مسميات مختلفة، على سبيل المثال "الأيديولوجيا" أو "الخطاب". ودرس الأنثروبولوجيون، على نحو تقليدي، حركات أقرب إلى موضوعات الدراسة التقليدية، ونعني هنا الأفراد الذين التقوهم صدفة أثناء المواجهة الاستعمارية colonial encounter، والذين استجابوا لهذه المواجهة بأشكال متنوعة من الاحتجاج والثورة والتمرد. وقد اتخذت هذه الاستجابات تنوعاً من الأشكال. وتعتبر الحركات الإحيائية Millenarianism، شكلاً من أشكال هذه الاستجابات(Salman &Assies, 2007, p 216 - 217)، والحركات الإحيائية يقودها قائد تبشيري يعد أتباعه بأن هناك نهاية قادمة لا محالة لكل شر (Salman &Assies, 2007: 217).وتؤمن الحركات الإحيائية بالتغيرات الراديكالية في نظم الأشياء. وتتسم هذه التغيرات غالباً بتدمير القوى المسيطرة في المجتمع، والدفاع عن حقوق السكان الأصليين خاصة الذين سُلبوا أرضهم. ومصطلح الألفية (أي مرور ألف عام) مستمد من التقاليد المسيحية، ولكنه اتسع ليستوعب أنماطاً أخرى من الحركات الدينية التي تتنبأ "بالجنة على الأرض"، أو "بتدمير النظام القائم عن طريق قوى خارقة للطبيعة"(سيمور – سميث، 1998، ص338).

كذلك شهد جنوب المحيط الهادي، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ظهور طوائف الكارجو cargo cults. فقد ترك الناس حقولهم، ودمروا أقنعة الأسلاف ancestral masks، واستبدلوا الطقوس الجديدة بالشعائر القديمة، وخلقوا رموزاً جديدة، وشيدوا أرصفة لتحميل السفن، ومهابط صغيرة للطائرات لاستقبال السلع والبضائع التي امتلكها المستعمرون البيض بكثرة(Salman &Assies, 2007, p217)، وحري بالذكر أن مصطلح "طائفة الكارجو" ينطبق على عدد كبير من الحركات الإحيائية التي ظهرت في ميلانيزيا في النصف الأول من القرن العشرين. ويظهر في هذه الحركات، والتي كانت نتاجاً لسنوات الاستعمار الأوربي المبكرة، قادة

طوائف كاريزميون من السكان المحليين يدعون أن شحنات البضائع الأوربية "الكارجو" سوف تصل في المستقبل القريب، وأنها سوف تُوزع على السكان المحليين بكميات كبيرة، وأن السكان المحليين هم من سوف يتحكمون في هذه البضائع، وليس الرجل الأبيض. ومن المعتقدات المصاحبة لهذه الحركات أن أول صفحة من الإنجيل التي جاء فيها أن المسيح كان رجلاً أسود، وأن كل السلع قد خلقها الله ليتمتع بها السكان المحليون، هذه الصفحة نزعها الرجل الأبيض في الوقت الذي بدأ فيه بنزع السلع من ملاكها الحقيقيين، ويذهب البعض إلى أن طوائف الكارجو قد ظهرت بسبب دمج المعتقدات الدينية الميلانيزية القديمة حول الأصول فوق الطبيعية (الروحية) في عناصر الثقافة المادية، والموقف الجديد للحرمان النسبي الذي خلقه الاستعمار، فلم تعرف الثقافة التقليدية الميلانيزية التفرقة بين العمل والطقوس المصاحبة، كما كان يُعتقد أن الثروة هي من خلق القوى فوق الطبيعية، وأن السلع التي يأتي بها الرجل الأبيض هي من خلق الله، ولذلك فإنها يمكن أن تؤول إلى السكان المحليين إذا ما عثروا على الصيغة الطقوسية الصحيحة، والتي تشمل محاكاة سلوك الرجل الأبيض وزيه، وتحطيم الملكيات والمحاصيل القديمة من أجل استقدام العصر الجديد (سيمور – سميث، 1998، ص 481 – 482).

وانتشرت في الولايات المتحدة، نهاية القرن التاسع عشر، رقصة الشبح Ghost Dance في السهول حيث اختفت الجواميس، وأُنتزعت الأراضي وسُلبت، ولقي السكان المحليون حتفهم جراء إصابتهم بالحصبة والجدري. وساد اعتقاد في أن كل البيض سوف يُدمرون بكارثة طبيعية أو فوق طبيعية هائلة، ثم بعدئذٍ يعيش السكان الأصليون في سعادة دائمة. وقد ذُبح عدد من أفراد السيوكس Sioux، الذين أتهموا بتحويل الحركة إلى حركة مقاومة نشطة، بلا رحمة عام 1890 على أيدي البيض المسعورين(Salman &Assies, 2007, p217)، وأُلقوا في مقبرة جماعية في قرية ووندید ني WoundedKnee[4].

كانت هذه بعض الروايات عن تدمير وتمزيق "طرق الحياة التقليدية"، وردود الأفعال الناتجة عن ذلك، والتي تجسدت في حركات أقرب إلى موضوعات الدراسة التقليدية، عكف على دراستها الأنثروبولوجيون، وخلال السنوات التي أعقبت الحرب العالمية، صارت الماركسية رافداً ومصدر الهام لدراسات الحركات الاجتماعية، حتى وإن اتخذت أإشكالاً مختلفة في بريطانيا وفرنسا وألمانيا كان من أبرزها الماركسية الثقافية البريطانية Cultural Marxism. وقد تجلت إرهاصات الماركسية الثقافية" في الدراسات التاريخية والأدبية، لكن لم يلتقط الأنثروبولوجيون خيط هذه الحركة إلا مؤخرًا، وفي وقت حديث نسبيًّا(Ortner, 1984, p139). وتركز الماركسية الثقافية جلّ اهتمامها على "الثقافة" كنظام للعلامات والمعاني متمايز ولا يمكن اختزاله، وتقرر إمكانية انتشار الموارد الثقافية المحلية في أفعال تقاوم ممارسات العمل الرأسمالي(Spencer, 1996, p354).

وقد مثلت أعمال ورسلي (Worsley)جسراً إلى الماركسية الثقافية في بريطانيا فيما بعد الحرب. إذ انشغل، بوصفه أنثروبولوجياً، بقضايا العالم الثالث، في حين ركز آخرون من المنتمين إلى هذه النظرية على الأفعال المثيرة للجدل المصاحبة للانتقال من الإقطاع إلى الرأسمالية، وتوطيد الرأسمالية الصناعية، وظهور الدولة الحديثة في أوربا. ويقرر إيركهوبسبوم (Eric Hobsbawm)، أحد منظري الماركسية الثقافية، أن الانتقال إلى الرأسمالية الصناعية قد أحدث تغيرات كارثية، وخلق مشكلات جمة كالسرقة وظهور المافيا، وأشكال شتى من الحركات الإحيائية، وغيرها. وشهدت الرأسمالية الصناعية بعد استقرارها حركات أخرى مختلفة. ويقرر هوبسبوم، والماركسيون الثقافيون المتأخرون، أن الحركة الاشتراكية رمز لحركة اجتماعية في المجتمع الصناعي الرأسمالي. وأن

"الثوار البدائيين" Primitive rebels هم أناس حاولوا التوافق مع التغيرات التي تعتريهم، وأن يطوروا أسلوباً للتفكير خاص بهم لمواجهة هذه التغيرات (Salman &Assies, 2007, p217 - 218).

ساهمت أعمال مانويل كاستلز (Manuel Castells) في تدعيم التنظير الماركسي البنائي للحركات الاجتماعية الحضرية. وقد حاول كاستلز التنظير "للحضري" باعتباره جزءاً من العملية الاقتصادية، ونقصد إعادة إنتاج قوة العمل. ويرتبط بروز المسألة الحضرية في البلدان الرأسمالية المتقدمة بتزايد أهمية الاستهلاك الجمعي، أي تنظيم الوسائل الجمعية لإعادة إنتاج قوة العمل. وقد أُعتبر التخطيط الحضري، في هذا السياق، تدخلاً سياسياً الهدف منه ضمان إعادة الإنتاج المستديم للنسق الحضري، بما يحقق مصالح الطبقة الاجتماعية المسيطرة. وعلى النقيض تمثل الحركات الاجتماعية الحضرية أنساقاً من الممارسات التي تميل إلى إحداث تغيير بنائي في النسق الحضري أو علاقات القوة في الصراع الطبقي. بمعنى أنه بينما يهتم التخطيط بتنظيم وضبط التناقضات، تعد الحركات الاجتماعية مصدراً للتجديد والتغيير(Salman &Assies, 2007, p 219).

أُعتبرت "دراسات الحركات الاجتماعية" خلال السبعينيات والثمانينيات ميداناً مستقلا في ذاته، يستلهم أفكاراً ورؤى من ميادين علم الاجتماع، والعلم السياسي، وعلم النفس الاجتماعي، والتاريخ، والأنثروبولوجيا.وخلال السبعينيات، تحرر كثيرون من فكرة الإمكانية أو الطاقة التحويلية للطبقة العاملة، التي أُعتبرت مستوعبة ثقافياً وأيديولوجياً من خلال "الرأسمالية المنظمة" regulated capitalism المدعومة بأساليب الإنتاج الفوردي، واقتصاديات دولة الرفاهية الكنزية. ومع ذلك يقرر هابرماس أن صور الاحتجاج لم تكن غائبة.

وعلى النقيض من هابرماس ارتأى منظرون، من أمثال آلان تورين، أنه بينما عكست الحركات الاجتماعية القديمة التناقض الطبقي بين المديرين والعمال في المجتمع الصناعي – سواء كان رأسمالياً أو اشتراكياً – يشير ظهور صور جديدة للاحتجاج الاجتماعي إلى الانتقال إلى نمط جديد، من الناحية النوعية، من المجتمعات، وهو المجتمع ما بعد الصناعي أو المجتمع المبرمج programmed. وتعتبر صور الاحتجاج تلك تجليات أو إرهاصات أولى لحركة اجتماعية موحدة، حركة "ذاتية الإدارة" self management على عكس التكنوقراط أو حركات التكنوقراط– وبذلك جسدت هذه الحركة صراعاً على نموذج ثقافي cultural model. ولا يشمل الصراع فقط طبقتين جديدتين، ولكن يتطور أيضا على مستوى مختلف عن الصراع في المجتمع الصناعي. وتتمحور هذه الصراعات حول قضايا التوزيع على مستوى مؤسسي (نظمى) أو سياسي، ولكن الحركة في المجتمع ما بعد الصناعي تنصب على قضايا ثقافية تتعلق بما يطلق عليه تورين "مستوى التاريخية" level of historicity، أو قدرة المجتمع على إنتاج ذاته. وفى الأنماط التي سبقت المجتمع الحديث – المجتمع التجاري والصناعي - واجهت العمليات التنظيمية والنظم السياسية تحدياً، بينما في المجتمع ما بعد الصناعي جابهت التوجهات الثقافية مثل سردية "التقدم" الكبرى تحدياً سافراً. ومع حلول المجتمع ما بعد الصناعي تحقق أعلى مستوى من الانعكاسية، والقدرة على الإنتاج الذاتي للمجتمع، وذلك هو ما شاركت فيه الحركات "ذاتية الإدارة". وقد أصبحت التوجهات الثقافية منطقة وهدفاً للصراع أو النضال نظراً لأننا ندخل عصر الثقافة المضادة، والذي تتطابق فيه هوية الفاعلين الاجتماعيين مع قدرتهم على تأمل الذات (Salman &Assies, 2007, p222).

لقد كان تورين وميلكسي نصيرين لما صار يعرف بنظريات الحركة الاجتماعية الجديدة التي صيغت في السبعينيات، وتطورت بمرور الزمن. وفيما يلي تلقي الدراسة مزيداً من الضوء على رواد هذه النظرية نظراً لدورها غائر التاثير في إحداث النقلة الثقافية.

تنتمي نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة لنسق نظري بيني عريض يعرف بنظرية الحركة الاجتماعية Social movement theory، التي انطلقت في نهاية القرن التاسع عشر، وتشير إلى دراسة التعبئة الاجتماعية social mobilization بما في ذلك مظاهرها وتجلياتها الاجتماعية والثقافية والسياسية، ونتائجها. وتفترض نظرية الحركة الاجتماعية أن الحركات الاجتماعية تتشكل، في حالات عديدة، عن طريق، أو أثناء، استعمال الأطر والمعلومات والتلاعب بها. وبحوث الحركات الاجتماعية تحركها الرغبة في التغير الاجتماعي، ويمكن أن تدمج البحث والمعرفة البحثية بالفعالية أو النشاط السياسي activism. وفى حالة نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة، يدرس منظرو الحركات الاجتماعية الكيفية التي من خالها تستعمل الجماعات المعلومات، والهوية، والبناء لتحقيق الأهداف (Flynn, 2011a: 90). ويشمل التاريخ البيني لنظرية الحركات الاجتماعية ست مناطق أو مجالات للدراسة:

- نظرية الحركة الاجتماعية الجديدةNew social movement theory.
- نظرية القيمة المضافة Value-added theory[5].
- نظرية الضغط البنائي Structural-strain theory[6].
- ونظرية الحرمان النسبي Relative deprivation theory[7].
- ونظرية تعبئة الموارد Resource mobilization theory.
- ونظرية المجتمع الجماهيري Mass society theory[8].

بدأت الحركات الاجتماعية الجديدة، مثل حركة مناهضة الحرب، وحركات البيئة، وحركة الحقوق المدنية، في الظهور في الخمسينيات والستينيات. وخلال السبعينيات والثمانينيات بدأ منظرو الحركات الاجتماعية يدركون العلاقة بين الحركات الاجتماعية الجديدة، والتحول البنائي، وسياسات الهوية identity politics. وقد وُجدت الحركات الاجتماعية الجديدة لتكون داعمة وميسرة لأشكال جديدة من الفعل والسلوك الجمعي. وتطور، في بداية الستينيات، مجالان من مجالات نظرية الحركة الاجتماعية. فقد تطورت نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة في أوربا، ونظرية تعبئة الموارد في أمريكا الشمالية. وصيغت نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة في الستينيات كاستجابة لنظرية الحركات الاجتماعية التقليدية التي اعتبرت الحركات الاجتماعية لاعقلانية أو غير منطقية، ونتيجة ضيم واستياء أو سخط شخصي.فقد تخلى منظرو الحركة الاجتماعية الجديدة عن التحليل النفسي الاجتماعي للحركات الاجتماعية الذي تعد نظرية الحرمان النسبي ونظرية المجتمع الجماهيري نموذجاً له. وقد ركزت النظريات النفسية الاجتماعية في الحركات الاجتماعية بؤرتها على العوامل التي اجتذبت الأفراد إلى الحركات الاجتماعية، وتشمل عوامل مثل سمات الشخصية، والمظالم أو الضيم، وخيبة الأمل. كذلك اعتبرت النظريات النفسية الاجتماعية المشاركة في الحركات الاجتماعية سلوكاً لاعقلانياً وشاذاً.وخلال الستينيات، ومروراً بالتسعينيات، عكست دراسات الفعل الجمعي تحولاً في النموذج الإرشادي من التركيز على السلوك الجماهيري في مطلع القرن العشرين إلى العملية السياسية والحركات الاجتماعية الجديدة(Flynn, 2011a, p90 - 91).

ويخلص منظرو الحركات الاجتماعية الجديدة، عبر دراساتهم للحركات المناهضة للحروب وحركات البيئة وحركات الحقوق المدنية والحركات النسوية، إلى أن الحركات الاجتماعية تركز على تشكيل الهوية، والتغير البنائي، والتحكم في المعلومات لإحداث التغيير (Flynn, 2011a, p91). وتؤكد نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة، على حد تعبير كانيل Canel، على الطابع الثقافي للحركات الجديدة، وتعتبرها صراعات أو نضالات للسيطرة على تشكيل هويات جمعية جديدة، وإنتاج المعنى (Wienclaw&Howson, 2011, p43). بما يعني أن الحركات الاجتماعية الجديدة تنصب بدرجة أكبر على المعاني الثقافية مقارنة بالحركات الاجتماعية القديمة(Jasper,2007a: 70). وتؤكد النظرية على المظاهر والجوانب التعبيرية للحركات الاجتماعية، وتضعها على وجه الحصر في نطاق المجتمع المدني، باعتباره معارضة للدولة (Wienclaw & Howson, 2011, p43).

واضح أن نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة عبرت عن نقلة ثقافية في نظرية الحركة الاجتماعية، فقد أكدت على الثقافة بوصفها ميداناً للاحتجاج ووسائل له، ويعني اعتبار الثقافة ميداناً تحولاً ونقلة من الصراع الأداتي التقليدي في المجال السياسي إلى الصراعات على المعاني، والرموز، والهويات في المجال الثقافي، وبذلك أزاحت الحركات الاجتماعية الجديدة والنظريات الجديدة السياسة باعتبارها موقعاً رئيساً للنضال والصراع عن المركز، وحوّلت الانتباه إلى الثقافة والمجتمع المدني بدلاً من ذلك(Buechler, 2007, p3209).

وهكذا تتسم الحركات الاجتماعية الجديدة بارتفاع المدخل الثقافي. فحتى إن كان شغلها الشاغل إعطاء الأولوية للمطالب الاجتماعية، فإن التعبئة التي تقوم بها تتحقق عن طريق اختراع أشكال جديدة للاندماج والمشاركة تلمح العلاقات بينها إلى اختراع ثقافة جديدة،و احترام القيم الخاصة بها، ورغم كل شيء تتضمن هذه الحركات مطالبات وحاجات الاعتراف الثقافي، وتؤكد على هوية(Wieviorka, 2005, p10).

ويعد كلاوس أوف، ألبرتو ميلكسي، آلان تورين، ويورجين هابرماس من أبرز منظري الحركات الاجتماعية الجديدة. وقد لاذ هؤلاء المنظرون الأوربيون البارزون بأمثلة وشواهد على حركات اجتماعية ظهرت في دول أوربية، ألمانيا وايطاليا وفرنسا، وذلك لتدعيم نظرياتهم عن الحركات الاجتماعية الجديدة والفعل الجمعي، ويركز كلاوس أوف على مقارنة النماذج الإرشادية التقليدية والجديدة المفسرة للفعل الجمعي، ويقارب آلان تورين ظهور الحركات الاجتماعية الجديدة في المجتمعات ما بعد الصناعية، ويحلل ألبرتو ميلكسي الكيفية التي من خلالها تؤثر حركة المعلومات في الصراعات المعاصرة والأفعال الجمعية. ويحاجج يورجين هابرماس بأن الحركات الاجتماعية الجديدة تنشأ وتتولد من التوتر الذي يحدث بين تكامل الأنساقsystems integrationوالتكامل الاجتماعي social integration. وبرغم الأمثلة والشواهد المحلية الأوربية التي توسل بها هؤلاء المنظرون، تُطبق نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة على الفعل الجمعي عالمياً (Flynn, 2011a, p 92).

كلاوس أوف: انشغل كلاوس أوف، عالم اجتماع سياسي ولد عام 1940، بتحليل العلاقات السياسية من منظور ماركسي. وقد ركز في دراسته للحركات الاجتماعية الجديدة على القضايا البنائية المرتبطة بالفعل الجمعي، واكترث بتحليل علاقات القوة المتغيرة في كل الظواهر الاجتماعية، والصراع الاجتماعي والسياسي. ويقرر أوف أن الحركات الاجتماعية المعاصرة تقوم بشيء مختلف بصفة أساسية عما تقوم به الحركات الاجتماعية التقليدية. ويقرر، مستخدماً أمثلة وشواهد من ألمانيا،

أن الحركات الاجتماعية يتعين تقسيمها إلى نمطين نموذجيين للفعل الجمعي: الحركات الاجتماعية التي تنتمي إلى النموذج الإرشادي القديم The old paradigm social movements، والحركات الاجتماعية التي تنتمي إلى النموذج الإرشادي الجديد The new paradigm social movements. ويعتبر أوف الحركات الاجتماعية الجديدة غير مؤسسية بطبيعتها non-institutional، ويؤكد أن الحركات الاجتماعية الجديدة والتقليدية تواصل المنافسة من أجل العضوية، والبقاء في دائرة الملاحظة والضوء. ويتوقع أن قدرة الحركات الاجتماعية الجديدة على إزاحة الحركات الاجتماعية التقليدية كلية يتوقف على نجاح الحركات الاجتماعية الجديدة في إبرام تحالفات. وفى رأي أوف، أن أفراد الطبقة الوسطى الجديدة، وأفراد الجماعات الذين لا يتخذون طابع السلعة decommodified، مثل الطلاب والعاطلين والآباء المتقاعدين، غالباً ما ينضمون إلى قوى في تحالفات لتعزيز أهداف الحركات الاجتماعية الجديدة (Flynn, 2011a, p 92).

ويحاجج أوف بأن الحركات الاجتماعية الجديدة انبثقت من التغيرات التي اعترت البناء الطبقي في منتصف القرن العشرين. وقد ارتبط ظهور الطبقة الوسطى الجديدة؛ التي تتألف من أفراد حاصلين على تعليم عالٍ، ويشعرون بالأمان من الناحية الاقتصادية؛ بتطور الحركات الاجتماعية الجديدة. ويعتقد أن الطبقة الوسطى الجديدة تؤيد القضايا التي تطرحها الحركات المدفوعة بقضية أو التي تدافع عن قضية معينة issue-based movements، وتشمل حركة السلام، وحركات البيئة، وحركات المرأة، وحركة الحقوق المدنية. وأخيراً يقرر أوف أن الطبقة الوسطى الجديدة سوف تعزز أهداف الحركات الاجتماعية الجديدة من خلال الدفع لإحداث تحول بنائي في الأبنية السياسية والاقتصادية. ومن أبرز أعمال أوف كتابه "التصميم المؤسسي للمجتمعات ما بعد الشيوعية" (1998) *Institutional Design in Post-Communist Societies*، و"تنويعات الانتقال: خبرة أوربا الشرقية، وألمانيا الشرقية" (1996) *The Varieties of Transition: the East European and East German Experience*، و"الحداثية والدولة: الشرق والغرب" (1996) *Modernity and The State: East and West*(Flynn, 2011a, p92).

آلان تورين: درس آلان تورين، عالم اجتماع فرنسي ولد في العام 1925، العلاقة بين الذات، أو الفرد، والحركات الاجتماعية. والذات، في رأي تورين، هي الفاعل (القوة أو الأداة) الأساسي في الحركات الاجتماعية، ويدرس الطرق التي من خلالها تتداخل الأبعاد البنائية والثقافية وتتقاطع في الحركات الاجتماعية الجديدة والأفعال الجمعية. وتشير الحركات الاجتماعية، في رأي تورين، إلى الأفعال الجمعية التي تهدف إلى التأثير في القيم الثقافية المركزية. ويؤمن تورين بأن الحركات الاجتماعية الجديدة توحد الصراع الاجتماعي، والمشاركة الثقافية(Flynn, 2011a, p94).

لقد كان تورين، الذي شارك في صنع حركات مختلفة، على وعي بأنه جزء من حركة اجتماعية جديدة موحدة في المجتمع ما بعد الصناعي أو المجتمع المعلوماتي. وقد سعى إلى تأسيس موضع "لعلم اجتماع الفعل" الذي يروج له، وذلك من خلال مقارنته بالاتجاهات الأخرى المفسرة للفعل الجمعي، والتي كانت رائجة في ذلك الوقت: وظيفية تالكوت بارسونز التي اعتبرت الاحتجاج والصراع خللاً وظيفياً، واعتبرت المجتمع بلا طبقات؛ ونظريات الاختيار العقلاني أو الاستراتيجي التي تؤكد على الفاعلين المتمركزين حول المصلحة الشخصية self-interested، والذين يتسمون بالحذر والعقلانية بصورة نفعية أو وسيلية instrumentally، دون أن تضع هذه النظريات في اعتبارها التوجه الثقافي الذي يشكل خياراتهم؛ والماركسية البنائية التي تفترض أن كل طبقة تمتلك أيديولوجيا خاصة بها. ويؤكد تورين أن كل مجتمع مقسم إلى طبقات أو حركات اجتماعية تناضل

وتتصارع على امتلاك/تحويل ملكية appropriation/alienation نموذج ثقافي معين: ما قبل صناعي، صناعي، ما بعد صناعي، لذلك فالحركات الاجتماعية في رأيه لا تشارك في التحول والتغيير البنائي للمجتمع، ولكن تركز على بعدها الآني، ويميز تورين بين أساليب الإنتاج (تجاري، صناعي، ما بعد صناعي)، وأساليب التنمية (رأسمالي، اشتراكي)، إذن تعكس الحركات الاجتماعية الصراع المتأصل في أسلوب معين للإنتاج. وفى ظل الرأسمالية الصناعية يكون الصراع بين العمال والمديرين مستقلاً عن أسلوب التنمية(Salman &Assies, 2007, p222).، وهكذا فالصراعات والحركات الاجتماعية في المجتمعات الصناعية الرأسمالية أو الاشتراكية هي ذاتها بالأساس: إنها بين العمال والمديرين.

وتوجه الثقافة بمعناها الواسع – طريقة الحياة، الأفكار عن المجتمع وموقعنا فيه – ما يطلق عليه تورين "المجتمع المبرمج" programmed society الحديث، حيث يحتل الإنتاج، والانتشار الهائل للسلع الثقافية مكاناً محورياً احتلته السلع المادية في السابق، وفى مجتمع تعددي مثل ذلك المجتمع، وفى غياب نموذج أحادى تفرضه سلطة مركزية أو يستلهم أيديولوجيا قوية، تُصان حرية الحركة الاجتماعية في تغيير بيئتها وتتأكد. والحركات الاجتماعية، في رأي تورين، لا تخدم نموذجاً مثالياً للمجتمع، أو حزب سياسي، أو أيديولوجيا، أو إستراتيجية سياسية. وبدلاً من ذلك تدافع عن حقها في الاستقلال والاختيار الأخلاقي. ويتحدث الخطاب الأخلاقي للحركة الاجتماعية عن الحرية، والمشروع الحياتي life project، واحترام الحقوق الأساسية، والتي لا يمكن أن تُختزل إلى مكاسب مادية أو سياسية(Girling, 2004, p 35 - 36).

وقد طور تورين تحليلاً نظرياً للفعل يُقارب عملية تشكل الهوية التي يخبرها الفاعلون بوصفهم أعضاء في الحركات الاجتماعية(Flynn, 2011a, p94). ومن أبرز أعمال تورين: "حركة العمال" (1987) *Workers Movement*، و"عودة الفاعل" (1988) *The Return of the Actor*، و"نقد الحداثية" (1996) *Critique of Modernity*.

ألبرتو ميلكسي: كان ألبرتو ميلكسي، عالم الاجتماع الايطالي، أول من وصف الحركات الاجتماعية المعاصرة بأنها حركات اجتماعية جديدة. وقد أشار إلى أن الأشكال ما بعد الحداثية للضبط الاجتماعي، وضغوط التوافق conformity pressures، ومعالجة المعلومات هو ما أثار وفجر الحركات الاجتماعية الجديدة التي تطور أشكالاً شخصية، وروحية، وتعبيرية للاحتجاج من شأنها أن تخلق هويات جمعية جديدة، في حين ترفض العقلانية الأداتية للنظام الاجتماعي السائد (Buechler, 2007, p3209)، وعلى شاكلة تورين، اعتبر ميلكسي الحركات الاجتماعية نمطاً خاصاً من أنماط الفعل الجمعي، ويؤكد على أنها تتجاوز المعايير المؤسسية وقواعد النظام السياسي، وبالرغم من تأكيد ميلكسي على أن الحركات الاجتماعية الجديدة تعمل في مجال الثقافة، وليس وفقاً لمستوى اقتصادي – صناعي، فقد أشار إلى طابعها المفكك المتشظي، وأشكالها التي تشبه الشبكة. وتنبني هذه الحركات في شبكات الحياة اليومية المغمورة، وتتيح مشاركة متعددة وجزئية وكثرة من الدلالات (المعاني) وصور الفعل. ويعتبر شكل الحركات في حد ذاته رسالة وتحدى رمزي. وبدلاً من تحقيق "مهمة عامة" بعيدة المدى، يمكن اعتبار الحركات الجديدة أو المعاصرة "بدو الحاضر" nomads of the present تستجيب للحاجات التعبيرية: الحركة بوصفها رسالة (Salman &Assies, 2007, p 223)، ويحاجج ميلكسي بأن قضية الهوية تميز الحركات الاجتماعية الجديدة عن الحركات الاجتماعية التقليدية. وتستند نظريته على فرضية مؤداها أن الهوية الفردية والجماعية في الحركات الاجتماعية الجديدة ترتبط بالعمليات الاجتماعية الهامة. وفى رأي ميلكسي أن الحركات

الاجتماعية الجديدة تحقق نجاحاً، وتلقى قبولاً لدى مؤيديها بتقديمها للهوية والانتماء، خاصة بعد تراجع مصادر تشكيل الهوية التقليدية. ويحدث ذلك لأسباب ثلاثة:

- الانتقال الذي حدث في الغرب من المجتمع الصناعي إلى المجتمع ما بعد الصناعي.
- وظهور الطبقة الوسطى الجديدة.
- وتحول الهويات الاجتماعية من الكامن إلى الظاهر العياني.

وتركز دراسة ميلكسي للحركات الاجتماعية على اكتساب المعلومات من خلال الحركات الاجتماعية. فهو يربط تطور الحركات الاجتماعية بالأساليب الجديدة لمشاركة المعلومات وانتشارها. وقد اعتبر المعلومات المصدر الرئيس للحركات الاجتماعية الجديدة والمجتمعات ما بعد الصناعية بعامة. ويذهب ميلكسي إلى أن الحركات الاجتماعية الجديدة تختلف عن الحركات الاجتماعية التقليدية في قدرتها على التعامل مع المعلومات، وعلى تغيير الأبنية المؤسسية والسياسية بطرق مباشرة وغير مباشرة(Flynn, 2011a, p 93)، ويقرر نقاد ميلكسي أن عمله قد وقع في شرك نظرية الحركات الاجتماعية التقليدية، ورؤية قاصرة وضيقة للهويات السياسية المتغيرة في الحركات الاجتماعية الجديدة.

يورجين هابرماس: طور يورجين هابرماس، عالم الاجتماع والفيلسوف الذي ولد عام 1929، مفهوم الفعل الاتصالي communicative action بقصد تفسير المواقف التي تكون فيها أفعال الفاعلين المشاركين في هذه المواقف منظمة، ليس عن طريق النشاط الموجه بالهدف، ولكن عن طريق أفعال الفهم والتأويل التعاوني النافذ. وفى رأي هابرماس، تتيح نظرية الفعل الاتصالي للمنظرين إعادة تصور العقلانية، وتنظيم العالم الاجتماعي. ويحاجج هابرماس بأن الحركات الاجتماعية تنشأ كنتيجة لتدخل الدولة والسوق في مجالات الحياة الخاصة، وتتولد من التوتر بين التكامل النسقي system integration (أي، الميكانزمات الموجهة والمحرِكة steering mechanismsفي مجتمع معين)، والتكامل الاجتماعي social integration (أي قوى التنشئة الاجتماعية، وإنتاج المعنى، وتشكل القيم).

وتمثل هذه الحركات ردود أفعال دفاعية من جانب الأفراد والجماعات التي تأمل في حماية أساليب الحياة المعرضة للخطر، والدفاع عنها، أو إعادة إنتاجها(Flynn, 2011a, p94). وتنتظم هذه الحركات حول ما اصطلح عليه هابرماس باستعمار colonization عالم الحياة، مثل العدل البيئي، سياسات الغذاء، الصحة والمرض البيئي؛ وتركز على ما يعتبره أعضاؤها دليلاً على الخطر. وتستعمل الحركات الاجتماعية المطبوعات والميديا الالكترونية لتوصل رسائلها، وكسب التعاطف، وتعبئة وحشد التأييد (Wienclaw & Howson, 2011, p43).

وتشكل الحركات الاجتماعية الجديدة تداخلاً وتقاطعاً بين النسق الاجتماعي والسياسي الواسع من ناحية، وخبرات الأفراد المعيشة من ناحية أخرى(Flynn, 2011a, p94). ويذكر سسر (Susser) أنه: "في لحظات التحول، قد يجد الأفراد أن صور الفعل الجديدة أكثر إثماراً من تلك التي اعتادوا عليها، أو أن الصور القديمة مفهومة بطريقة مختلفة، أو أن الأهداف التي طمحوا إليها من قبل يمكن تحقيقها الآن. هذه اللحظات تقود إلى إعادة تشكيل عالم الفرد؛ وهذه العملية يمكن أن تكون فردية أو جمعية(Wienclaw&Howson, 2011, p43).

نخلص من كل ما سبق إلى أن نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة، التي تركز على الارتباطات بين الحركات الاجتماعية والمعلومات والهوية والبناء، تعيد تعريف وتحديد الكيفية التي من خلالها تتم

دراسة الحركات الاجتماعية المعاصرة، وتصورها، وقد تشكلت نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة في الستينيات من الاهتمام المتنامي بالحركات الاجتماعية، والبيانات التي جُمعت وتراكمت عنها، وتمثل هذه النظرية انقطاعاً عن التصور التقليدي للحركات الاجتماعية والفعل الجمعي. وتتبنى نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة منظوراً جديداً لمشكلة الفرد والمجتمع القديمة. ويتوسل علماء الاجتماع بنظرية الحركة الاجتماعية الجديدة لتحليل الكيفية التي من خلالها تصوغ الحركات الاجتماعية الجديدة أهداف التغيير وتحققها، وكيف تشكل الهوية، وتنشد التأييد وتحصل عليه، وتتعامل مع المعلومات وتنشرها، وتعمل لتغيير العناصر البنائية في المجتمع لتحقيق الأهداف. ويتسلط اهتمام المنظرين على الميكانزمات والإستراتيجيات التي توظفها الحركات الاجتماعية بعامة (Flynn, 2011a, p94 - 95). وقد تبين كذلك، أن الحركات الاجتماعية الجديدة قد ركزت على قضايا الهوية، وتولدت من رحم الطبقة الوسطى، وعمدت إلى تسييس الحياة اليومية، كما باشرت نضالها عن طريق وسائل ثقافية ورمزية. وقد شعر باحثوها بأن النماذج الإرشادية الأوربية السائدة، والتي ترتكز على نماذج مستقاة من الحركات المادية، توفر رؤية تصورية قاصرة لهذه الحركات الجديدة، لذلك وجه هؤلاء الباحثون الميدان إلى قضايا ذات صبغة ثقافية بصورة أكبر (Whooley, 2007, p586).

فقدت نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة، في الثمانينيات، الاستحسان والقبول الذي نالته. وخلال هذه الفترة طفق مؤيدو هذه النظرية المفوهون يؤكدون على أن حركات ما بعد المادية post-materialist movements في السبعينيات والثمانينيات، مثل تلك المهتمة بالبيئة والسلام والنسوية، لم تعد تتحدى القيم والسياسة الغربية المعاصرة بأي طريقة ذات معنى أو هادفة، وينتقد بعض علماء الاجتماع نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة وادعائها بأن الحركات الاجتماعية الجديدة حلت محل الحركات الاجتماعية التقليدية وأزاحتها. ويقررون أن الحركات الاجتماعية التي تتسم بخصائص الحركات الاجتماعية الجديدة وجدت خلال العصور الصناعية، وأن الحركات الاجتماعية التقليدية سوف تستمر في الوجود جنباً إلى جنب الحركات الاجتماعية الجديدة. وقد ارتأى النقاد أن هناك عدداً محدوداً من البحوث لا يدعم التمييز الدقيق بين الحركات الاجتماعية الجديدة والتقليدية. وبالإضافة إلى ذلك، وجد نقاد هذه النظرية أن من الخطأ اهتمامها بالسياسات الليبرالية، وعدم اكتراثها بالسياسات المحافظة والحركات الاجتماعية. ويقرر نقاد نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة أن مهمة الحركات الاجتماعية الجديدة وأهدافها قد توارت بتأثير الوكالات والأجندات عبر القومية. ويتساءل النقاد عما إذا كان للحركات الاجتماعية الجديدة أية أهمية وتأثير في الألفية الجديدة – التي تتسم بالعولمة والتداخل بين الاهتمامات العامة والخاصة(Flynn, 2011a, p96- 97).

ثالثاً: معالم المنظور الأنثروبولوجي

عندما طرح بارينجتون موور (Barrington Moore) في كتابه "الظلم: الأسس الاجتماعية للإذعان والثورة" *Injustice: The Social Bases of Obedience and Revolt* الصادر عام 1987سؤالاً مؤداه: لماذا يقبل الناس عند قاع المجتمع قدرهم غالباً، ويعترضون في ظروف استثنائية فقط؟ أبرز وأكد ما كان الأنثروبولوجيون يسعون إلى اكتشافه واستيضاحه عندما يقاربون الحركات الاجتماعية بالبحث والدرس، ونعني: فهم السلوك الجمعي. فمن المستحيل تحليل الحركات الاجتماعية إذا قصر الباحث جهوده على تحليل علاقات القوة السياسية، أو عوّل على النزعة الأوتوماتيكية اللاإرادية automatism التي مؤداها أن الإحباط والغضب المتراكم سوف يفرز عصياناً مسلحاً. ويمكن الدفع بأن اتجاه بارينجتون موور أنثروبولوجي لأنه وضع في الاعتبار الطموحات،

والتطلعات، والشكوك، و"الحالة العادية المعيشة" lived normality للأفراد صانعي الحركات الاجتماعية. وركز موور على دراسة ثقافة المشاركين في الحركات الاجتماعية على مستوى الميكرو micro-level، والحياة اليومية المشتركة. وقد أكد ذلك الدور الذي يمكن أن تضطلع به الأنثروبولوجيا في دراسة الحركات الاجتماعية(Salman &Assies, 2007, p205)، وألمح إلى تحول اهتمام الأنثروبولوجيين من القواعد والسلوك إلى الطريقة التي تُعاش بها القواعد في الواقع، وكيف يتم تصور السلوك أو فهمه، وقضايا الذات والهوية(Goldman, 2001, p161).

ويقرر ايسكوبار (Arturo Escobar) أن كتاب موور يمثل إحدى دراسات الاقتصاد السياسي الموجهة تاريخياً، والتي أعطت دوراً، وأولت اهتماما أولياً منظماً لمشكلات المعنى والهوية التي تعد أساسية لفهم أشكال الاحتجاج. وقد تحقق ذلك في الأنثروبولوجيا بصورة منظمة، وفى مثل هذه الجهود أُثيرت قضايا أخرى مثل "المظاهر الثقافية والرمزية للحركات الاجتماعية"، و"الميول" الثقافية أو المتشكلة بالثقافة cultured dispositions للفاعلين المشاركين، التي تظهر فجأة، ونتيجة لهذه الجهود، سواء داخل الأنثروبولوجيا أو خارجها، خضع مفهوم الثقافة (باعتبارها مكوناً محدداً من مكونات الحركات الاجتماعية أو محور تكويني في المجتمع) للفحص والتدقيق (Salman &Assies, 2007, p205).

ويشمل الإسهام الأنثروبولوجي في دراسة الحركات الاجتماعية أربعة أبعاد رئيسة: **الأول:** تحتل الثقافة في المداخل الأنثروبولوجية موقعا مركزياً، وتعد، كما هو معروف، مسألة مركبة معقدة، وتقارب البحوث التي تدور حول الصلة القائمة بين "الثقافة" و"الحركات الاجتماعية" كثرة من الموضوعات، على سبيل المثال، السمات الثقافية للمجتمعات بصورة عامة، والتي تؤثر في المحتجين والسلطات في آن معاً، والسمات الثقافية التي تناقشها الحركات الاجتماعية وتنتقدها بصورة سافرة صريحة نظراً لطابعها الجائر المزعوم، والسرديات (النظريات الثقافية) Cultural Narratives الخاصة بحركة اجتماعية معينة، والتي تستعملها في تبرير القضية التي تدافع عنها، وحشد مؤيدين. وبالإضافة إلى ذلك برزت الثقافة باعتبارها فكرة شديدة التركيب والتعقيد في الجهود الرامية إلى تحديد معالم الحركات الاجتماعية الجديدة، وذلك على أساس التحليلات التي تتناول المجتمعات ما بعد الصناعية. وقد قرر البعض على سبيل المثال أن طبيعة الحركات الاجتماعية أصبحت "ثقافية" بعد أن صار الأساس الثقافي الرئيس للمجتمعات، وليس نظام الإنتاج، هو القضية المحورية بالغة الأهمية.

الثاني: برغم تأكيدها على الأبعاد الثقافية، ساهمت الأنثروبولوجيا في استيضاح الجدل المتواتر بين الاتجاهات البنائية structuralist، والاتجاهات المتمركزة حول الفعل في دراسة ومقاربة الحركات الاجتماعية. إن الثقافة نتاج للتاريخ، لكنها منبثقة أو ناشئة emerged، ونظراً لأن الانبثاق أو النشوء عملية مستمرة متواصلة فإن الثقافة تكتسب سمات خاصة بها. كذلك تعد الثقافة صنيعة الإنسان – لكنها تتخلص من صانعيها، وتؤثر فيهم خارج سيطرتهم ووعيهم. والأنثروبولوجيا في تحليلاتها وعمليات إعادة التركيب التي تقوم بها لمغامرات الحركات الاجتماعية، والأفراد المشاركين فيها، قادرة على المساهمة في الرؤى والتصورات المتعلقة بالكيفية التي من خلالها تحدث هذه العمليات.

الثالث: تؤدي الأنثروبولوجيا دوراً مؤثراً في التطرق بالتحليل إلى موقع الإدراكات الفردية وإدراكات الجماعة. ويمكن للأنثروبولوجيا أن تقدم الكثير فيما يتعلق بفهم تصورات ومنظورات أعضاء الحركة وغير المشاركين، وشكوكهم، وخلعهم للمعنى، وتطلعاتهم، وتعبيراتهم وتأويلاتهم الخاصة. بتعبير آخر، توفر الأنثروبولوجيا النظرة الداخلية للثقافة والحركات الاجتماعية emics. وتحتفظ

الأنثروبولوجيا بالأوصاف والأرصاد الداخلية وتجعلها جزءاً من تقييم الظواهر. ويمثل ذلك في بحوث الحركات الاجتماعية أهمية كبيرة (Salman &Assies, 2007, p206).

وأخيراً، تتسم الأنثروبولوجيا بالمنظور الكلى الشامل. بمعنى أنها تختص بالبحث المنظم لكافة مظاهر النشاط الإنساني بصورة موحدة شاملة، وتستلزم الكلية Holism دراسة ظاهرة اجتماعية معينة "في كليتها وشمولها الاجتماعي". إذ يحاول "المنظور الكلى الشامل" دراسة ثقافة معينة عن طريق وصف وتحليل كل أجزاء النسق، والكيفية التي من خلالها تترابط هذه الأجزاء (Ferraro & Andrea, 2010: 15). بتعبير آخر يشير المصطلح إلى وصف الكيفية التي من خلالها ترتبط ظاهرة معينة بغيرها من الظواهر والنظم في كل متكامل (Eriksen, 2004, p37).

ويتحدد الإسهام الذي تضطلع به الأنثروبولوجيا في دراسة الحركات الاجتماعية في قدرتها الفذة على دراسة الحركات الاجتماعية دراسة كلية شاملة بمعنى تقديم دراسة وتحليلاً لصيقاً، وفى نفس الوقت التركيز على السياقات الماكروسياسية، والماكرواقتصادية. وتتميز الدراسة الأنثروبولوجية عن دراسات الحركات الاجتماعية في علم الاجتماع وعلم السياسة بالتركيز على الخصوصية والتفرد والفعل(Osterweil, 2006, p251)، وتقرر ناش Nash أن التحليل الكلي الشامل للحركات الاجتماعية هو السمة البارزة المميزة للمدخل الأنثروبولوجي. فمن الأهمية في بحوث الحركات الاجتماعية فحص السمات المجتمعية التي تحيط بالأحداث وتلابسها وتخترقها، وللنظم الاقتصادية والمجتمعية، والقناعات الدينية السائدة، والعلاقات القرابية، وميديا الاتصال الموجودة القائمة، وأشياء أخرى، تأثير حتمي على مسار الأحداث فيما يتعلق بالصراع موضوع البحث، كما أن لها تأثيراً على الإدراكات والتصورات والتقييمات المحلية للصراع أو مسار الأحداث (Salman &Assies, 2007, p207)، ويسهم التعاون مع ميادين معرفية أخرى في تحقيق النظرة الكلية الشاملة في دراسة وتفسير الحركات الاجتماعية، خاصة وأن الحركات الاجتماعية ظواهر مركبة ومتعددة الأبعاد، لذلك يحتاج الباحث إلى معونة هذه الميادين، على سبيل المثال: مدخل العلم السياسي، والتركيز على الأبنية المجتمعية، والتحليل السوسيولوجي، والتحليل التاريخي التتبعي، ومقاربة علم النفس الاجتماعي.

وتتحدد أهمية الإسهام الأنثروبولوجي في دراسة الحركات الاجتماعية في المنهجية الأنثروبولوجية ذاتها. ذلك أن الأنثروبولوجيين يتوغلون في القاعدة (الأعضاء العاديين) grass roots، ويجرون ملاحظة بالمشاركة. وقد وفرت الملاحظة بالمشاركة، والاندماج، والاستغراق المطول في الديناميات الصغرى لبناء وتكوين الحركة ونشاطها، وفرت معرفة هامة عن إدراكات الأفراد وتصوراتهم واتجاهاتهم حيال خطابات التأطير framing discourses، وجاذبية القادة، واستراتيجيات الحركة ونشاطاتها، وعمليات التعبئة الواقعية التي تقوم بها، وتعد هذه المعلومات حاسمة وبالغة الأهمية: ذلك أنه عند النظر "من أعلى" تتبدى الحركات الاجتماعية كيانات متجانسة ومحددة، تناضل بوعي لتحقيق أهدافها، وتقوم بعمليات تعبئة وحشد في سبيل تحقيق هذه الأهداف، ولكن يكشف الواقع الفعلي عكس ذلك بدرجة كبيرة. فغالباً ما تكون المشاركة متذبذبة ومترددة، ويكون المشاركون أو أعضاء الحركة غير متجانسين، وتتنوع الدوافع وتكون غير ملائمة أو خاطئة أحياناً، وتكون طموحات الأفراد أكثر تواضعاً أو نافذة الصبر، وذلك على عكس المتحدثين باسم الحركة أو رموزها، ويقتضيفهم "رحلات" voyages الحركات الاجتماعية وجود معرفة بالخصائص القاعدية تلك grass roots. وهنا يقرر تيرنر (Turner) وجليدهيل (Gledhill) أن الاهتمام بالحوادث الخاصة والمعينة التي تولد الأزمة، وتؤثر في حياة الأفراد والجماعات الصغيرة، يكشف في الغالب شيئاً عن أنساق القيم الأساسية في المجتمع ومبادئه التنظيمية" (Salman &Assies, 2007, p229).

وهكذا، يتمثل موطن قوة الأنثروبولوجيا في بحوث الحركات الاجتماعية في نظرتها الداخلية وملامستها الأرضية أو القاعدة التي يقف عليها أعضاء الحركة، وتضع الأنثروبولوجيا في اعتبارها العمليات التي تسبق التعبئة وتعقبها، وذلك على ضوء التماسك الاجتماعي، والمعاني، ومشاعر الانتماء، والذكريات، وتكوين شبكات محدودة micro-networking، وتكوين وخلع المعاني على الظروف والحوادث، والمفردات والمعرفة لبناء خطابات مضادة counter-discourses، وغيرها من القضايا الداخلية.

والحقيقة أن المعتقدات والقيم الثقافية لا تكشف عنها سوى الدراسة الحقلية لأعضاء الحركة العاديين. وتتضح أهمية النظرة الداخلية والدراسة الاثنوجرافية على وجه الخصوص ، إذا تأملنا الدور المراوغ الذي تؤديه الثقافة في الحركة الاجتماعية، والذي يعبر عنه روبين (Robin) بقوله: "بعيداً عن مساهمة الثقافة في نجاح الحركات التي لا تعبر تماماً عن قناعات الأفراد، تكشف النتائج عن أن الثقافة تبقى بعداً جامحاً مراوغاً في عمليات التعبئة للحركات الاجتماعية. إن الأفراد لا يتقولبون ويتشكلون ببساطة بالقواعد والمعايير الثقافية الآخذة في التبلور والتشكل، والتي تدافع عنها الحركات الاجتماعية. وقد تكون دوافع الأفراد لذلك مختلفة عن الدوافع التي تغذيها قيادات الحركة. يوضح ذلك بدوره أن السمات الثقافية قد تكون مشتركة بين الحركة، والأبنية المتشكلة أو المتأسسة والقوة التي تتحداها الحركة"، إن الحركات الاجتماعية – على حد تعبير أورين ستارن (Orin Starn) - لا توحد الأفراد الذين تعبئهم وتناضل ثقافياً لتحريرهم، ولا تضفي عليهم طابع التجانس بالضرورة(Salman &Assies, 2007, p253 – 254).

واضح إذن، أن الاثنوجرافيا السياسية Political ethnography تتيح منظوراً وحقيبة أدوات للتركيز على قضيتين، وهما تأثير التغير البنائي في الفعل الجمعي، وتغير ثقافة الاحتجاج الشعبي، إن الميكروسكوب الاثنوجرافي يمكنه أن يتحرى ويحلل في السياق الأصلي، في الزمان والمكان الواقعي، الكيفية التي من خلالها تتشكل معاني النضال، ويتم تفنيدها أو الخلاف حولها أثناء التفاعل، والكيفية التي من خلالها يحدث هذا التعلم في الواقع(Auyero& Joseph, 2007, p 4).

رابعاً: تأثيرات الثقافة وتجسيداتها في الحركات الاجتماعية

تقتضى المقاربة المنظمة للدور الذي تؤديه الأنثروبولوجيا في دراسات الحركات الاجتماعية استيضاح نطاق دراسات الحركات الاجتماعية، وذلك لتحديد أبعاد الدراسات التي يمكن أن تسهم فيها الأنثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية، وأنثروبولوجيا الحركات الاجتماعية. وقد قام هربرت بلومر وبادر (Bader) بمحاولتين قيمتين لفهم هذا النطاق، وحددا نمط التساؤلات أو القضايا التي يتعين طرحها، والتحديات النظرية التي نجابهها فيما يتعلق بالمراحل والأبعاد المختلفة لأداءات الحركة الاجتماعية.

ولقد حدد هربرت بلومر أربع مراحل في دورة حياة الحركات الاجتماعية، يؤثر فيها البعد الثقافي. وهذه المراحل كما وصفها هي: "الاختمار الاجتماعي" social ferment، "الإثارة أو الاهتياج الشعبي" popularexcitement، و"التشكيل" formalization، و"المأسسة"institutionalization. ومنذ عمله المبكر، أعاد الباحثون تعريف وتحديد وتسمية هذه المراحل، لكن بقيت الأفكار الرئيسة ثابتة نسبياً. واليوم تعرف مراحل الحركة الاجتماعية بـمرحلة النشوء emergence، التكتل Coalescence، اكتساب الطابع البيروقراطي Bureaucratization، والانحسار. وقد لاحظ الباحثون أن الحركات الاجتماعية يمكن أن تنحسر

لأسباب عديدة منها: الإخفاق التنظيمي، الاستيعاب أو الاندماج في حركة أكبر Co-optation، القمع والإخضاع Repression، والتأسيس والتوطد داخل المجتمع الأكبر (Christiansen, 2011, p15-16)، وتتيح مخططات بادر إمكانية التمييز، على سبيل المثال، بين مراحل ما قبل التشكل والتكوين preconstruction episodes، والمراحل المفصلية articulation episodes، ومراحل الحشد والصراع conflict episodes، بتعبير آخر يميز بادر بين المرحلة التي تتضمن وتستلزم وجود تغيرات اجتماعية، اقتصادية، عرقية، أو أية تغيرات بنائية أخرى، أو الوصول غير المتكافئ للموارد، والتي تفسر إمكانية تشكل جماعة احتجاج معينة؛ والمرحلة التي يتأثر فيها نمو هذه الجماعة – بصورة حاسمة – بالهابيتوس، ويتبلور في هوية جمعية ذات طبيعة معينة؛ تشكل وعي بالشكايا والاهتمامات والأيديولوجيات والمثاليات؛ الدور الذي يؤديه مستوى أدنى من التنظيم والقيادة؛ وما يتبع ذلك من حشد ممكن وتعبئة للموارد، ومن المهم التأكيد على أن العديد من المراحل تتشابك وتتعاقد في الظروف الواقعية، وتؤثر المراحل في بعضها البعض (Salman &Assies, 2007, p211).

يكشف تأمل تصورات بلومر وبادر عن دور البعد الثقافي في الدورات المختلفة لظهور الحركة الاجتماعية وأدائها، وفى استجابات السلطات والخصوم. بتعبير آخر يكشف عن حضور الثقافة القوي، ومتعدد الأوجه في تشكل وظهور الحركة الاجتماعية، وأنشطتها. ويتضح دور البعد الثقافي بقوة في مراحل مثل تشكل الهابيتوس والهوية الجمعية، وتأطير الاهتمامات، وتكوين المثاليات، وقد تبين في موضع سابق أن الثقافة ترافق وتلازم مسار حياة الحركات الاجتماعية، وتحقق ربط المراحل المختلفة بسمات المجتمع الذي يحتضن هذه الحركات، وفى ذلك المجتمع تحدد ترتيبات مطمورة من الناحية الثقافية أشكال حدوث الحركة(Salman &Assies, 2007, p210 - 211)، إذن تعتبر الثقافة مكوناً جوهرياً في الحركات الاجتماعية. لكن الثقافة متقلبة، أو هي، على حد تعبير ايرك وولف Wolf، تاريخية، ومتغيرة متحولة باستمرار. وأن علاقات القوة – والمقاومة التي تجابهها – هي التي تُحدث هذه التغيرات. ولذلك يرفض وولف رؤية الثقافة باعتبارها نسقاً محدداً أو خطة للمعيشة قادرة على إدامة الذات. ويحاجج كثيرون بأنه ليس ثمة راق ثقافي شبه انطولوجي، منعزل، ومحدود bounded يقبع خلف الفعل الواقعي والآراء الظاهرة والصريحة التي تروج لها الحركات الاجتماعية وأعضاؤها. كما أنهم لا يسعون إلى إضفاء الطابع الأنطولوجي على طبقات من الثقافة لا تُدرك أو عميقة، ويخضع لها الفاعلون، وتنتقص من قوتهم واستقلاليتهم. ولكن يفضل هؤلاء رصد السمات الثقافية لمظاهر وتجليات الحركات الاجتماعية. وتشمل هذه السمات الذكريات الجمعية، واتجاهات الجسد body attitudes وذاكرة الجسد bodily memory، والحكايات ورؤى الكون cosmologies المتناقضة، والهابيتوس، والهويات الجمعية، وغير ذلك كثير، وما يمكن أن نستنتجه من هذه القائمة المختصرة من السمات أن الثقافة تتغلغل إلى ما وراء المجال الخطابي، ولابد وأن نضع في اعتبارنا حقيقية أن "العنف الرمزي الذي يمارسه مجتمع معين يمكن (أو لا يمكن) أن ينهزم أمام غلبة وقوة الضمير(Salman &Assies, 2007, p207, 232 - 233).

واقع الحال أن الأنثروبولوجيين لا يسعون إلى إضفاء الصبغة الثقافة على الحركات الاجتماعية، أو تجريدها من البعد السياسي، فالحركات الاجتماعية، حسبما يؤكد فوراكر(Foweraker)، ليست ظواهر تبقى قاصرة على المجتمع المدني المشبع ثقافياً، لكنها ترتبط بالقضايا السياسية والسياسة، لذلك لا يمكن دراستها كما لو كانت ظواهر سسيوثقافية بالدرجة الأولى. وتعد هذه الحركات في رأيه سياسية بمعنيين: **الأول**: أنها تضفي الصبغة السياسية على القضايا الجديدة، **والثاني**: أنها تلج إلى

الساحة السياسية والمؤسسية، وتنخرط فيها عن طريق التفاعل الاستراتيجي مع الدولة. ومع ذلك، فمن المهم والحاسم، في فهم الحركات الاجتماعية، ليس فقط التركيز على الأبعاد السياسية والخطابية الصريحة، ولكن يجب أن نضع في اعتبارنا "الواقع الخفي" للثقافات الفرعية، الوسط البديل، والجمهور الذي يتبنى قضية معينة، وشبكات وأقسام الحركة الاجتماعية، ذلك الواقع الذي يشكل أساس هذه الحركات، وتعتبر هذه الخلفية الثقافية لظهور التنظيمات والحركات بالغة الأهمية لفهم مصير هذه الحركات – حيث لا تكفى العوامل السياسية، والخطابية، والبنائية لتحقيق هذا الفهم. وتوفر الأنثروبولوجيا مدخلاً يحقق رصد السمات الثقافية المميزة لأفعال وسلوكيات وأنشطة الحركات الاجتماعية (Salman &Assies, 2007, p 211).

وتصوّب دراسة الثقافة في علاقتها بالحركات الاجتماعية فهمنا للفكرة المجردة للثقافات بوصفها "كيانات متميزة ومحدودة bounded".وغني عن البيان أن الأنثروبولوجيين يطورون من حين لآخر تصورات جديدة للثقافة، ولكن برغم ذلك استمر واستدام تصور للثقافة وسم الأنثروبولوجيا الحديثة، يتحدد في أن الثقافة كيان مترابط متماسك ومحدود النطاق؛ تتميز بخصائص محددة؛ تتسم بالثبات، وتقبع في حالة توازن، وتعيد إنتاج ذاتها؛ وتتألف من نسق خفي من المعاني المشتركة؛ ويتميز أفرادها بالتماثل والتجانس(Wright, 1998, p8). ويطرح الأنثروبولوجيون المعاصرون، خاصة أنثروبولوجيو ما بعد الحداثة، تصورًا للثقافة باعتبارها تتسم بالمرونة التامة، ويقررون أنه إذا كان من الضروري الإبقاء على مفهوم الثقافة، فإنه ينبغي علينا أن ننظر إلى الثقافات ليس باعتبارها متوحدة ومترابطة عضوياً، وتتميز بالاستمرارية، ولكن باعتبارها عمليات تفاوضية وآنية حاضرة(Clifford, 1988, p273) يؤشر ذلك على تبدد الرؤية التقليدية للثقافة بوصفها كلية، وتتسم بالاحتواء الذاتي، ومتماسكة(Helmreich, 2001, p620)؛ وعلى تراجع التفكير في الثقافات باعتبارها مجموعات متكاملة وثابتة من المعاني والممارسات التي يعيد فاعلون يتعرضون لعملية غرس ثقافي إنتاجها، واليوم يؤكد الأنثروبولوجيون على الصراع، والتناقض، والغموض، والتغاير في الادراكات الثقافية – الطريقة التي من خلالها تتصارع التصورات الثقافية وتتفاوض، خاصة وأن الرسائل الاجتماعية الغامضة المتصارعة قد صارت أساساً للفعل الفردي (D'Andrade& Strauss, 1992, p1)، وأن الجماعات لم تعد مرتبطة بإقليم أو مجال جغرافي معين، أو مرتبطة وموحدة مكانياً، أو متجانسة ثقافياً وواعية بالذات من الناحية التاريخية (Appadurai, 1991, p191).

إن دراسة الحركات الاجتماعية تسهم في تبديد الرؤية التقليدية للثقافة، والتي هيمنت على الأنثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية لعقود، وتثير نقاشات نظرية مستفيضة، وتقرر أنه ينبغي تأويل الثقافة باعتبارها عالماً يتسم بالاحتواء الذاتيself - contained realmيتألف من معاني، ورموز وشعائر، وتقاليد – أقل أو أكثر انفصالاً عن اللاتجانس، والصراعات، والتفاوتات الداخلية الماثلة في المجتمع العام. إن الثقافة تعددية، خلافية متناقضة ومتشظية – تماماً مثل أي مجتمع، ولهذا السبب تحديداً تؤدي الثقافة دوراً هاماً في الخلافات والنزاعات المجتمعية. والثقافة لا ترتبط بفاعلين سياسيين متصارعين وتؤثر فيهم فحسب، لكنها تمثل جزءاً متكاملاً من تكوينهم وهوياتهم – ولا يعني ذلك أن تلك الهويات يمكن اختزالها إلى الثقافة، إن المركز الاجتماعي للشخص، والفرصة المتاحة أمامه للوصول إلى الموارد، ودوره في تشكيلات القوة، ونوعه، وعمره وهلم جرا، كل ذلك يشكل الهويات. وقد أوضح جرامشي أن العوالم الثقافية لما أُصطلح عليه "بالتابع"subaltern تعد جزءاً لا يتجزأ من آلية مجتمعية تنتج التفاوتات (Salman &Assies, 2007, p211).

تبدو الثقافة إذن مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالوقائع والموجودات السياسية والاقتصادية، وتمنحها معاني ودلالات. والثقافة بوصفها ممارسة مجتمعية لا تضفي طابع التجانس على المجتمعات، ولكنها بالأحرى تقسم المجتمعات أو حتى تبقى عليها في حالة انقسام، فهي على حد تعبير بيير بورديو (Bourdieu)"تميز وتفرق داخل المجتمعات"، ويؤكد وولف في تقنين لما سبق على أنه سوف يكون من الخطأ أن نثق، في أي مجتمع، في فعالية الرموز، آليات أو قدرة علم المنطق وعلم الجمال workings of logics and aesthetics في التحرك نحو التكامل أو إعادة التكامل كما لو كانت هذه العمليات المعرفية موجهة بعلة نهائية. وبدلاً من ذلك، يقرر وولف أن "القوة متضمنة في المعنى عن طريق دورها في تأييد تصور معين للمعنى باعتباره حقيقياً أو مثمراً أو جميلاً، وذلك ضد أي احتمالات أخرى من شأنها أن تهدد الحقيقة والإثمار والجمال"، ولذلك يعد العمل الرمزي منقوصاً لا يكتمل أبداً، وتدعم الحركات الاجتماعية بقاء العمل الرمزي. وهكذا لا تمثل الثقافة فقط الخلفية الخطابية والعملية المشتركة للأحزاب أو الفرق في الصراع (السياسي)، ولكنها تمثل أيضا، في طابعها غير المتجانس والخلافي المتنافر، جوهر هذا الصراع ومكوناً أساسياً من مكوناته، وعلى حد تعبير ايسكوبار Escobar "تعتبر المسائل المتعلقة بالحياة اليومية، الديمقراطية، الدولة، وإعادة تعريف وتحديد الممارسة السياسية والنمو السياسي، مسائل مترابطة متشابكة، وقد تكون الحركات الاجتماعية المجال الملائم لاستيضاح هذه الترابطات والتشابكات.

ويتمثل أحد أسباب تضمين الثقافة (التصور الذي يؤكد على الدينامية، واللاتجانس، والطبقية stratifying؛ لا على التجانس) في محاولاتنا فهم الحركات الاجتماعية، في حقيقة أن الحركات الاجتماعية تلوذ بالرموز الثقافية، وتلجأ إليها بصورة صريحة ومقصودة لتدعيم القضية التي تدافع عنها، وإضفاء الشرعية عليها. ويلجأ خطاب الحركات الاجتماعية إلى الثقافة (المضادة)، لتبرير دعاواها وشكاواها ومنحها القبول والتأييد. وتعد دراسة هذا الدعم الثقافي هامة لفهم راقات المعنى layers of meaning التي توفر الجاذبية، وتمكن من تقييم فعالية هذه الاستراتيجيات (Salman &Assies, 2007, p211- 212).كذلك للثقافة أهمية في فهم الحركات العرقية، وسياسات الهوية الخاصة بالحركات الاجتماعية. في مثل هذه الحركات، تصبح الطرق التي من خلالها تقهر الثقافات المسيطرة وتقيد وتكبح إعادة إنتاج جماعات الأقلية وحضورها العام أو الجماهيري، تصبح دافعاً صريحاً وقوياً للنضال وعنصر من عناصره. ويؤكد ذلك أن الثقافة حاضرة في الصراعات التي تخوضها الحركات الاجتماعية.

ويتضح دور الثقافة ومكانها في الحركات الاجتماعية في أن الفقراء لا يميلون غالباً إلى الحشد والتعبئة، ولكنهم يلوذون بالأشكال الخفية للمقاومة، إذ لا يعمدون إلى التحدي السافر، ولكن يندمجون في حركة تعويق وإضعاف محدودة النطاق هدفها تقويض الهيراركيات وصور القهر والفرض. وتتأثر هذه الأشكال من الاحتجاج، بقوة، بالخصائص الثقافية لجماعة الاحتجاج الجبانة (Salman &Assies, 2007, p212). **وهنا يثور سؤال على جانب كبير من الأهمية، كيف تتجسد الثقافة واقعياً في الحركات الاجتماعية؟**

تتجلى الثقافة بطرق مختلفة وتبرز في تشكل الحركات الاجتماعية، وفى أنشطتها وسلوكياتها. وتكشف دراسة تواريخ حياة الفاعلين(النشطاء) في الحركات الاجتماعية عن أنها ليست مجرد حشود، أو ظواهر تفرزها ظروف غير ملائمة أو ظروف معيشية سيئة، أو أنها نتاج لخطاب قائد كاريزمي، في كل هذه الحالات يتم تصوير الفاعلين بصورة كامنة باعتبارهم مكونات أو عناصر متاحة، وفى اعتقادنا أن تحليل ظهور التنظيمات والحركات الاجتماعية ينبغي أن ينبني على يقين بأن للفاعلين

تواريخ حياة، وقدرات قوية، ومظاهر عجز وإخفاقات، ورؤى وأحكام ومعرفة وشبكات. ولذلك فهم ليسوا عناصر مرنة طيعة بصورة مطلقة، إذ يعدوا على مستوى الذكريات والتصورات الواعية والقدرات الواقعية، وعلى مستوى الروتينيات والصيغ المتكررة، وصور الذات أو الصور الذاتية self-images، وأفكار الاختلافات والتفاوتات الاجتماعية، يعدوا للاستجابة للفرص والقضايا التنظيمية، ويثري إدراك السمات الثقافية لتكوين الأفراد الذين تحاول الحركات الاجتماعية دفعهم وتعبئتهم تحليلنا بصورة حاسمة، ويحاول قادة الحركة بالطبع الارتباط قدر المستطاع بالأفراد الذين يحاولون حشدهم أو تعبئتهم. ويكتشفون الحوافز، والصور الجذابة، والمهارات والسمات التي تخاطب احترام وتقدير الأفراد للذات، وكبريائهم(Salman &Assies, 2007, p212 - 213).

ومن ناحية أخرى، وعلى مستوى أكثر واقعية، قررت دراسات متنوعة أنه قبل أن تثور الاحتجاجات الصريحة السافرة، يحاول الأفراد إقناع السلطات بمطالبهم بطرق أنيقة وتقليدية من الناحية الاجتماعية، لكن إذا أخفقت هذه الطرق تأخذ الحركات الاجتماعية مساراً آخر، إذن تظهر الحركات الاجتماعية عندما تصبح عناصر النظام الاجتماعي – المسوّغة ثقافياً – غير مقبولة، يتضح من ذلك ضرورة الاهتمام بالسمات الثقافية المحددة والواقعية التي تميز ظروف ما قبل تشكل الحركة premovement، وذلك حتى يمكن فهم الحركات الاجتماعية. وتشمل هذه السمات الثقافية الأبعاد الثقافية للترتيبات الاجتماعية الدينية، العرقية، أو الطائفية؛ والطرق التي من خلالها تنعكس هذه الترتيبات في ذكريات الأفراد وهوياتهم وطموحاتهم – وتشمل أيضا الطرق التي من خلالها يذعن الأفراد لنظم اجتماعية معينة؛ وتشمل في حالات معينة الطرق التي من خلالها يطورون ويدعمون الثقافة المضادة أو الثقافة الفرعية التي تتحدى هذه الترتيبا(Salman &Assies, 2007, p 213-214).

ولكن هل يمثل حضور الثقافة عنصراً نافعاً ومصدر قوة، أم عنصراً مقيداً يمارس قهراً؟

تعد الثقافة، في رأى البعض، نسقاً من الرموز المشتركة، ينتقل بواسطة جماعة معينة. وتزود الثقافة الشخص بفئات (مفهومات) تحدد الإدراك، وبمعنى للخبرة الإنسانية(Nicholas, 1973, p74). وتشكل الثقافة الأفعال الجمعية عن طريق ثلاثة ميكانزمات نموذجية: باعتبارها مجموعة أدوات لحل المشكلة، وباعتبارها صيغ معرفية scripts[9]، وباعتبارها مواهب وصيغ مكررة بديهية أو مسلم بها taken-for granted routines. وبرغم أن الأفعال الجمعية الواقعية تتضمن عمل هذه الميكانزمات الثلاثة، فإن الأهمية النسبية للميكانزمات الثلاثة في حركة اجتماعية معينة تختلف باختلاف الظروف البنائية في مجتمع معين، وعلى وجه التحديد، يميل الفاعلون في الحركات الاجتماعية الفقيرة من الناحية التنظيمية، على الأرجح، إلى إتباع صيغ ثقافية معينة أو حتى انفعالاتهم ومواهبهم المطمورة أو المقيدة من الناحية الثقافية culturally embedded، أما الفاعلون في الحركة الثرية والجيدة من الناحية التنظيمية فيمتلكون القدرة التوسل بالذخيرة الثقافية كأدوات لتحقيق الأهداف المرجوة، يضع هذا التمييز الحركات الاجتماعية تحت مظلة الديمقراطيات الغربية بمعزل عن العديد من الأفعال الجمعية في ظل النظم القمعية(Zhao, 2010, p33).

تتخلل الثقافة صراعات الحركات الاجتماعية ونضالاتها بصورة ملموسة. ويتخذ ذلك أشكالاً مختلفة، فقد تصبح موضوعاً صريحاً للجدل والنقاش فعلى سبيل المثال، في النضالات أو الصراعات حول قضايا معيارية مثل المثلية الجنسية، والمساواة النوعية. وفى حالات أخرى يُحتفى بالسمات الثقافية المزعومة للجماعة القائمة بالتعبئة، ويتم التأكيد عليها باعتبارها عناصر جذابة لتجنيد الأتباع. ويشمل ذلك، تمجيد تذكر حوادث تاريخية أو شخصيات، أو نشر صور أو أفكار عن شجاعة الجماعة

ومثابرتها، أو استعمال الشعائر المحرضة والمحفزة التي تسبق الاجتماعات الحاشدة أو التظاهرات العامة الأخرى. وفى هذه الحالات، تعتبر الثقافة شيئاً نافعاً للجماعة القائمة بالحشد والتعبئة ومصدر قوة. وهنا تصير الثقافة مورداً. ولكن في حالات أخرى، تتخذ الثقافة شكل سمة جمعية تعوق وتعرقل التعبئة الفعالة، ينسحب ذلك، على سبيل المثال، عندما تُستدمج صورة الزبون أو المستهلك clientelism إلى حد أن الأفراد يخفقون في مقاومة استراتيجيات فرق – تسد divide-and-rule التي تنتهجها سلطة تجابه اعتراضاً ونقداً، ومرة أخرى يفضلون المكافأة القريبة أو قصيرة المدى على التغيير بعيد المدى لعلاقات القوة. وينسحب ذلك أيضاً عندما تفرز حالة الارتياب وعدم الثقة الداخلية، والتي تثيرها السلطات الحاكمة، تخاصماً وتشاجراً تافهاً ضيق الأفق حول القيادة أو الاستراتيجيات. هنا تصبح الثقافة قيداً على التعبئة الناجحة(Salman &Assies, 2007, p238). وفيما يلي تصور للثقافة باعتبارها عنصراً نافعاً، ومصدر قوة لنوضح الأوجه المختلفة لهذه القضية.

تعضد الثقافة جهود بناء الحركة الهادفة إلى خلق "التماثل" في مواجهة الآخر، وقد يؤدي ذلك إلى خطابات جوهرية essentialist، وتوتراً مستمراً بين الحاجة إلى إظهار واستعراض هويات موحدة متماسكة، والتفاوض المتواصل للهويات داخل التنظيمات. وبرغم أن الصبغة الجوهرية قد تكون ضرورة إستراتيجية في عملية تمثيل الذات أو التمثيل الذاتي "self-representation"، وتكوين رأس المال الرمزي، برغم ذلك أكد الأنثروبولوجيون الذين استلهموا الأعمال الكلاسيكية لبارث (Barth) على الطبيعة الدينامية لتلك العمليات وحاولوا تقييمها نقدياً، مشيرين إلى العمليات الاحتمالية أو المشروطة المتواصلة لإعادة التنظيم، وإعادة التعريف، والتي بدونها لا يمكن للحركة أو جماهيرها أن تبقى وتستمر، وعندما يواجه الأفراد بمواقف يتعذر عليهم احتمالها، وعندما يصيرون أكثر غضباً وسخطاً نتيجة للظلم الذي يستشعرونه، وعندما يُطلب منهم الاحتشاد والتنظيم، عند ذلك يستدعون الذكريات والصور الثقافية لدعم قراراتهم وأفعالهم ويلوذون بها. ويجد الأفراد في الذكريات الجمعية الإلهام والرموز التي تُوجه وتُلهم موقفهم(Salman &Assies, 2007, p240).

ويقرر جيفري روبين (Rubin)أن الحركات الاجتماعية لابد من تحليلها في أبعادها التاريخية والثقافية، وليس باعتبارها ظواهر سياسية، وفى رأيه أن جاذبية الحركات لا تنشأ فقط من التعبير الملائم عن مشكلة سياسية أو حياتية معينة أو الإستراتيجية "المقنعة" الموضوعة لحل هذه المشكلات. ذلك أن الحركة تحتاج أيضاً إلى أن تكون جذابة وواعدة، بطريقة أو بأخرى، ويتحقق ذلك عن طريق الإفادة من المكونات الثقافية في تكوين الحركة. وأخيراً يؤكد روبين على أن الحركات تضفي حتماً الصبغة الجوهرية essentialize حتى تكون قادرة على التمثيل وتكوين دعواها، ويضيف، أن ذلك لا يعنى أن كل المشاركين يقرون هذه السمات "الجوهرية"؛ ذلك أن معتقدات الأفراد وخبراتهم قد تختلف عن هذه القوانين prescripts. ويؤكد على أن مثل هذه التوترات تجسد "مظاهر الغموض" والتناقضات المتأصلة في الثقافات والحركات الاجتماعية. ويخلص روبين إلى ضرورة دراسة والإقرار بالطرق التي من خلالها تنشأ الحركات وتتولد من الطرق التاريخية والثقافية المتعددة، وتشمل التناسج والامتزاج بين الثقافة والسياسة، وإضفاء الصبغة الجوهرية. وبهذه الطريقة وحدها يمكن أن نرصد ونفسرالطرق التي من خلالها تتشكل الهويات، والاهتمامات، والأهداف السياسية في الواقع، وذلك قبل وأثناء الصراعات الفعلية التي تخوضها الحركات غالباً(Salman &Assies, 2007, p240 - 241).

واضح أن استحضار واستدعاء المكونات الثقافية قد يدعم الحركة، أو على الأقل تتردد أصداؤها في أنشطة الحركات وممارساتها، ومع ذلك قد تعوق السمات الثقافية تطور مثل هذه الحركات. فأحيانا تحاول السلطات استغلال صور ثقافية معينة لنزع الشرعية عن الحركات الاجتماعية. وأحيانا تعوق خصائص خطاب سائد عن طبيعة الحركة وأهدافها تطور هذه الحركة، وتطفر الثقافة باعتبارها قيداً في الصور والممارسات الماثلة في المعتقدات "الشعبية"، والتي تعوق نمو الحركة وتطورها. وتتنوع هذه الصور من أساطير القيادة إلى الأيديولوجيات المتعلقة "بطهارة ونقاء الحركة" ذاتها، ويتبدى شكل آخر تتخذه التقييدات عندما تغتصب السلطات الأفكار والتصورات والمطالب التي صكتها حركة الاحتجاج، وتستعملها في تشويه وضرب قادتها أو أعضائها، وبرغم ذلك يمكن أن تحول عمليات التعلم واحترام وتقدير الذات المتنامي، وتوكيد الذات، التقييدات والإكراهات إلى عناصر يمكن الإفادة منها(Salman &Assies, 2007, p246 - 252)، نخلص مما سبق إلى أن الثقافة قد تتحول من قيود على الحركات الاجتماعية تعوق ظهورها وتطورها ونجاحها إلى عناصر تفيد منها هذه الحركات.

خامساً: مستقبل أنثروبولوجيا الحركات الاجتماعية، وأنثروبولوجيا الحركات الاجتماعية العربية:

هناك مهمتان رئيستان ألقيتا على عاتق الأنثروبولوجيين المهتمين بدراسة الحركات الاجتماعية: الأولى، الرصد المتكامل والمنظم لإدراكات أعضاء الحركة الاجتماعية، وردود أفعالهم، وطموحاتهم، وذلك بالنظر إلى أهداف الحركة، واستراتيجياتها. ويسود غالباً تصور للحركات الاجتماعية باعتبارها وحدة للتحليل. لذلك اعتبر البعض أن البيانات، والتصريحات، والاستراتيجيات، والمسيرات، والشعارات، هي التي تشكل الحركة، ويعد ذلك إشكالياً. والحقيقة أن الاتجاه المتمركز حول الفاعل actor – oriented بحاجة إلى تعديل جذري: بمعنى أن الفاعلين الذين يكونون الحركات ويشكلونها، وليست الحركات باعتبارها فاعلاً movements – as – actor، هم من بحاجة إلى دراسة متعمقة. ويساعد فهم الشكوك، والطموحات، والدوافع، وحتى الآراء غير اللائقة لأعضاء الحركة على فهم الحركات باعتبارها ظاهرة متعددة القوى polyvalent، ومتعددة الراقات أو الطبقات multilayered، ويدعم تصوراتنا وفهمنا لنجاحات الحركات وإخفاقاتها.

إن الطريقة الوحيدة لتجنب المنظور الوظيفي للحركات الاجتماعية تتمثل في الاهتمام ببحث الاتجاهات والأفعال الواقعية التي تصدر عن الأعضاء العاديين. لذلك فثمة حاجة إلى مزيد من البحوث الاثنوجرافية لهؤلاء الأعضاء. كما أن ثمة حاجة إلى طرح مزيد من التساؤلات حول الذكريات الجمعية والفردية؛ والدلالة الانفعالية للشعارات، والمجازات أو التعبيرات المجازية، والشعائر؛ ودور الشبكات الاجتماعية باعتبارها أدوات للتجنيد؛ والسعي إلى الانتماء والانتساب للحركة بوصفه عاملاً دافعياً؛ وصور "الحياة المثلى"؛ والمخاوف التي تسببها التغيرات السريعة والفجائية في ظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والحقيقة أن البحث الاثنوجرافي، على عكس بحوث الاستبيانات، يحقق إلقاء الضوء على تعقيدات مبررات الأفراد ودوافعهم ليكونوا

جزءً من الحركة، أو ينفصلوا عنها. والبحث الأنثروبولوجي الذي يتناول الأبعاد التي تحدثنا عنها للتو سوف يكشف عن تشابك المكونات الثقافية للصراعات السياسية.

ثمة قناعة لدى الباحثين المعاصرين بالتكوين المرن والدينامي واللامتجانس للثقافات، لذلك يتجهون بكثافة وتركيز إلى دراسة الطرق التي من خلالها تتشكل التحولات الثقافية المحلية، والصراعات السياسية المحلية، جزئياً على الأقل، خارج السياق المحلى، وفى نفس الوقت يصبح استحضار الثقافات المحلية التقليدية و"الأصيلة" أحد الدعائم الدافعية لظهور الحركة الاجتماعية، وخطاباتها التي تضفى الشرعية على الذات، ويؤكد باحثو الحركات الاجتماعية أو باحثو الدفاعات الثقافية cultural defenses اليوم على الطابع عبر القومي أو الكوني أو على الأقل عبر المحلى لهذه المبادرات، ويوضحون كيف أن الخطابات تتأثر بمدخل خارجي. ومن القضايا البحثية المستقبلية، البعد الثقافي "لعمليات التأطير" framing processes. وعمليات التأطير هي ميكانزمات وسيطة بين الظروف والتعبئة الفعلية(Salman &Assies, 2007, p258).

لقد اضطلعت الحركات الاجتماعية الجديدة بدور حاسم في إثارة احتجاجات ما عرف إعلامياً بالربيع العربي، وتوسيع دوائر الاحتجاج التي انداحت لتستغرق العالم العربي، وتفجير وإثارة وإبراز التناقضات الكامنة في الثقافات العربية، وما أفرزه ذلك من فوضى عارمة، وفرض التحول الديمقراطي في بعض الدول، وتعاني المجتمعات العربية من ضعف الأطر الحزبية التي بدت عاجزة عن اجتذاب واحتواء الشباب، إضافة إلى عدم قدرة المؤسسات السياسية والاجتماعية القائمة على استيعاب مطالب أجيال وقوى سياسية واجتماعية جديدة، ما دفع هذه الجماعات إلى تنظيم نفسها في شكل غير رسمي خارج الأطر المؤسسية القائمة.كذلك تتسم غالبية المجتمعات العربية بدرجة مرتفعة من الإتاحة البيوجرافية biographical availability، وتعرف بأنها "غياب الضغوط أو الاضطرارات الشخصية التي قد تزيد من تكاليف ومخاطر المشاركة في حركة اجتماعية، مثل المهنة، والزواج، والمسئوليات الأسرية"، وتزيد الإتاحة البيوجرافية من احتمالية مشاركة الشباب في الأنشطة عالية التكلفة، والاحتجاجات، وتكوين حركات احتجاجية.

يفرض كل ذلك على الدوائر الأكاديمية والبحثية العربية توجيه مزيد من الاهتمام لبحث السمات الثقافية التي تنتقدها الحركات الاجتماعية لنظراً لطابعها الجائر، وسمات ثقافة الحركات الاجتماعية الجديدة، وتشكيلها لهوية، وعمليات التأطير والتعبئة والحشد، والعلاقة بين ثقافة الحركة الاجتماعية والعنف، وهلم جرا، وعلاوة على ذلك، يتعين توجيه دفة الاهتمام البحثي إلى دور الفضاء الالكتروني في تشكيل الحركات الاجتماعية الجديدة وإثارة الاحتجاج فيما يعرف "بالاحتجاج الالكتروني" cyberprotest، ولا ريب في أن الانترنت قد غيّر الطريقة التي نتواصل ونتفاعل بها مع الآخرين تغييراً جذرياً، وصار وسيلة مؤثرة للتفاعل الاجتماعي(Witte and Mannon, 2010, p85)، ويتفق باحثو الحركات الاجتماعية على أن الميديا الجديدة توفر فرصاً جديدة للفعل الجمعي (Aelst and Walgrave, 2004, p87).إن الفعل الاجتماعي والسياسي على الانترنت ما يزال جديداً، ومع ذلك ثمة اتجاه إلى استعمال الفضاء الالكتروني باعتباره ساحة سياسية، وهنا برزت مفهومات

الديمقراطية الالكترونية cyberdemocracy، الديمقراطية الرقمية digital democracy، والاحتجاج الالكتروني cyberprotest، وهلم جرا (Gurak, 2005, p242)، ويُستعمل مصطلح السياسة الثقافية الالكترونية cybercultural politics، في أدبيات الحركات الاجتماعية، ليشير إلى حقلين مختلفين، لكن مترابطين: الأول يحدده النشاط السياسي داخل الانترنت ذاته، والآخر تحدده العلاقة بين شبكات الكمبيوتر، والنشاط السياسي في العالم الواقعي(Ribeiro,1998: 332). وتشكل الحركات الاجتماعية المعاصرة واستعمالها لتكنولوجيات المعلومات والاتصال (ICTs) عنصراً رئيساً في لاندسكيب الديمقراطية الحديثة الراهنة، وتجمع الأشكال المعاصرة للاحتجاج بين التكنولوجيات العتيقة مثل "الرايات" وأدوات الاتصال الجوال عالية التقنية إضافة إلى البريد الالكتروني، وجماعات الأخبار، والمنتديات، والمدونات، والمواقع الالكترونية، والقرصنة (Donk, et al., 2004 xi, p1)، ويفيد الناشطون من الميزات التي يحققها الاتصال الذي يتوسطه الكمبيوتر حيث السرعة الفائقة، وانخفاض تكاليف الاتصال، ودقة الرسالة، والتغلب على مشكلة التشويش(Webster, 2001, p 118).

ويثور، في هذا الصدد، تساؤل مؤداه: هل تفسر المظالم والشكايا، والإتاحة البيوجرافية وحدها الميل إلى الانخراط في حركات وفعاليات احتجاجية وثورية؟ واقع الحال أن المظالم والشكايا لا تفسر وحدها تطور الأحداث وتفجرها. ومن الناحية التاريخية، لا تخلق المظالم المتعلقة بالعامل الاجتماعي والاقتصادي وحدها، الحركات الاجتماعية. ذلك أن الأفراد يشاركون في الفعل الجمعي عندما يدركون عضويتهم في جماعة معينة، ويبدو مدى التوحد والاندماج الجماعي group identification مؤشراً ينذر بالمشاركة في فعل جمعي. ويمكن لمثل هذا التوحد أن يتولد فقط من الاتصال بين الأفراد، إن تيلي (Tilly) يعرف الحركات الاجتماعية بأنها سلسلة من الأداءات، والاستعراضات، والحملات المشاكسة أو الاحتجاجية contentious التي من خلالها يرفع الأشخاص العاديون مطالبهم لآخرين، وتعتبر الحركات الاجتماعية، خاصة الاحتجاجات، شبكات من الأفراد يجمعهم هدف أو مصلحة مشتركة. وتعد الميديا الاجتماعية، تكنولوجيا وفضاء لتوسيع وتعزيز هذه الشبكات، وتؤثر الميديا الاجتماعية في الكيفية التي بمقتضاها يصوغ الناشطون الحركات الاجتماعية ويشكلونها(Lim, 2012, p239).كذلك لا يمكن أن تفسر الإتاحة البيوجرافية وحدها المشاركة في الحركات الاجتماعية أو الاحتجاجية، ذلك أن التعبئة تعتمد على الاتصال أيضاً، وبذلك تتكامل الميديا الاجتماعية مع النشاط السياسي الاحتجاجي.

تعقيب: تشهد بحوث الحركات الاجتماعية، وأنثروبولوجيا الحركات الاجتماعية، نقلة ثقافية، إذ تتخذ من مفهوم الثقافة منطلقاً، وتتسلط على رصد سمات ثقافة الحركة كالذكريات الجمعية، والحكايات، والتأطير، والهوية الجمعية، والهابيتوس، وتحقق هذه النقلة تحريراً للأنثروبولوجيا (العربية على وجه الخصوص) من ربقة المنظور الوظيفي البنائي، وذلك عن طريق التركيز على تصورات أعضاء الحركة العاديين وتطلعاتهم، وما يصدر عنهم من أفعال، إضافة إلى بحث الذكريات الجمعية والفردية؛ والدلالة الانفعالية للشعارات، والشعائر؛ ودور الشبكات الاجتماعية في التجنيد.وتحقق النقلة

الثقافية مزيداً من الواقعية الاثنوجرافية وصدق التمثيل الاثنوجرافي عن طريق التغلغل في تعقيدات ثقافة الحركة الاجتماعية، ودوافع وإنفعالات أعضائها.

الهوامش

(1) تنسط نظرية تأطيرframing theory الحركة الاجتماعية على فهم الطريقة التي من خلالها تخلق الحركات الاجتماعية وفاعلوها المعنى ويستعملونه، أو الكيفية التي بمقتضاها يتم تأطير الأحداث والأفكار بقصد تعبئة أنصار وأشياع محتملين، وكسب تأييد المتفرجين، وتفتيت التعبئة التي يقوم بها الخصوم (Christiansen, 2011b: 147).

(2) تمثل **التركيبية الاجتماعية** Social constructionism مجموعة من النظريات والمفهومات الرائجة في علم الاجتماع المعاصر وميادين معرفية أخرى، وتسعى إلى استيضاح وتفسير الظواهر والحوادث الاجتماعية على أساس سياقها التاريخي، وبنيتها (إطارها) الاجتماعي. وبذلك تسعى النظرية التركيبية إلى استجلاء الكيفية التي من خلالها تتركب أو تتشكل الحوادث الطبيعية ظاهرياً عن طريق تاريخ الأفعال والتفاعلات الإنسانية. وتدحض النظرية التركيبية على هذا النحو فرضيات النزعة الجوهرية essentialism والمذهب الواقعي realism، والتي مؤداها أن عالماً موضوعياً خارجياً يوجد ويتموضع خارج فئات الإدراك والتأويل التي نمتلكها. وتمثل النظرية التركيبية الاجتماعية، في نظر البعض، نموذجاً إرشادياً يرتكز على سعي إلى الكشف عن الأساليب التي يشارك من خلالها الأفراد والجماعات في خلق عالمهم المُدرك. ويتضمن هذا الاتجاه فحص الكيفية التي من خلالها تتخلق وتتشكل الظواهر الاجتماعية، وتتمأسس وتتحول إلى تقليد متفق عليه ويحظى بإجماع. ويُنظر إلى التركيب الاجتماعي باعتباره عملية مستمرة، إذ يعاد إنتاج الواقع عن طريق تفاعلات الأفراد ومعرفتهم بهذا الواقع. إن التركيبية الاجتماعية تمثل جزءاً من نقلة نسبية في العلوم الاجتماعية تؤشر على أن فئات وأشكال المعرفة سياقية. إذ تؤكد على أن المعرفة العلمية والخطابات البيولوجية عن الجسد والصحة والمرض تنتجها المصالح الذاتية والمحددة تاريخياً، وتكون عرضة للتغير وإعادة التأويل. معنى ذلك أن كل المعرفة نتاج للتفاعل والتأويل الإنساني. وأن المعرفة ليست عامة أو ثابتة، وغير محايدة، ولكنها تتغير دوماً في استجابة للعلاقات الاجتماعية، كما أنها تمثل نتاجاً لعلاقات القوة. ولا تعتبر هذه النظرية المعرفة واقعاً عاماً أو كونياً ومستقلاً، ولكن تعتبرها شريكاً في بناء وتركيب الواقع. وينظر إلى الفاعلين أو البشر باعتبارهم يتشكلون في الخطابات والممارسات الاجتماعية التي لها تاريخ مركب، ومن خلالها. تشكك التركيبية الاجتماعية إذن في ادعاءات وجود حقائق جوهرية. وتؤكد أن ما يعتبر حقيقة هو نتاج لعلاقات القوة، ومن ثم فالحقيقة غير محايدة على الإطلاق، إذ تحقق دوماً مصالح شخص أو جماعة معينة (Sandvoss, 2006: 569;Hughey, 2008: 866; Gabe, et al., 2004: 130-131).

(3) يتوسل باحثو الحركات الاجتماعية بنظرية تعبئة الموارد Resource Mobilization لتفسير خصائص، ومخرجات أو نتائج الحركات الاجتماعية. وتفسر هذه النظرية الكيفية التي من خلالها تُعبأ الحركات الاجتماعية الموارد من داخلها وخارجها لتحقيق الأهداف المرجوة.

(4) قرية تقع في الجنوب الغربي من إقليم داكوتا Dakota الأمريكي السابق، وقد ذُبح فيها أكثر من 300 هندياً من هنود اللاكوتا Lakota في التاسع والعشرين من ديسمبر عام 1890.

(5) نظرية القيمة المضافة إحدى النظريات المفسرة للفعل الجمعي، تحاجج بأن ظروفاً اجتماعية معينة تكون ضرورية لنشوء وتشكل الحركات الاجتماعية. وتحدد نظرية القيمة المضافة فرص حدوث الفعل الجمعي من عدمه، وتقرر أن ثمة مجموعة معينة من المحددات تيسر وتدعم المخرجات (النتائج) والسلوكيات الجمعية. وتشكل محددات السلوك الجمعي عملية قيمة مضافة. وتشير عمليات القيمة المضافة، في النظرية الاقتصادية، إلى العمليات التي من خلالها تتخلق قيمة إضافية في مرحلة معينة من مراحل التنمية أو الإنتاج. وتؤكد نظرية القيمة المضافة على وجود ست ظروف أو محددات يتطلبها نشوء وتشكل الحركة الاجتماعية: محفز أو مساعد بنائي structural conduciveness، ضغط بنائي structural strain، معتقدات معممة generalized beliefs، عوامل دافعة precipitating factors، تعبئة المشاركين mobilization of participants، الضبط الاجتماعيsocial control. ويشير المحفز أو المساعد البنائي إلى موقف اجتماعي يشجع ويسمح بوجود نمط معين من أنماط الفعل الجمعي. ويشير الضغط البنائي إلى موقف معين ينضوي على نوع من الحرمان. ويشير نمو وانتشار معتقد معمم إلى معتقد يجعل الموقف ذو معنى لدى الفاعلين، وذلك من خلال تحديد وتعيين مصدر الضغط المحتمل، عزو سمات المصدر، وربط الاستجابات المحتملة بالضغط. وتشير العوامل الدافعة إلى فعل يؤكد ويعزز معتقد معمم أو تضخيم والمغالاة في ظرف ضاغط. وتشير تعبئة المشاركين لفعل معين إلى اجتذاب

الجماعة التي نال منها التأثير إلى الفعل. وتشير عمليات الضبط الاجتماعي إلى المحددات المضادة counter-determinants التي تحول دون، وتحرف (تشوش)، أو تثبط وتمنع تراكم المحددات السابقة.وثمة عناصر أو مكونات أربعة في نظرية القيمة المضافة تفسر السلوك الاجتماعي: التسهيلات الموقفية، الأدوار، المعايير، والقيم. وتشير التسهيلات الموقفية إلى الوسائل والموارد التي تستعمل في إزعاج تنظيم معين. وتشير الأدوار إلى السلوك المتوقع من شخص في موقف اجتماعي معين. وتشير المعايير إلى القواعد التي تحكم تحقيق الأهداف. وتشير القيم إلى أهداف وغايات الفعل الاجتماعي. واضح إذن أن نظرية القيمة المضافة تفسر الكيفية التي من خلالها تتحول المظالم أو الشكايا إلى معتقدات معممة، ومن ثم إلى حركات اجتماعية (Flynn, 2011b: 134 - 136).

(6) تؤكد نظرية الضغط البنائي أن أبنية المجتمع قد تعزز وتدعم الانحراف والجريمة. ويتوسل علماء الاجتماع والجريمة بنظرية الضغط البنائي في تحليل السلوك المنحرف والتنبؤ به، وبحث الحركات الاجتماعية المنحرفة والثقافات الفرعية الإجرامية أو الانحرافية.وتشير نظرية الضغط البنائي إلى فكرة مؤداها أن الأبنية الاجتماعية تُمارس ضغطاً على الأفراد وتدفعهم إلى الانخراط في سلوك منحرف أو إجرامي. وتعد نظرية الضغط البنائي جزءاً من نسق عريض من الأفكار يُطلق عليه نظريات الضغط. وتمثل نظرية الضغط البنائي وكافة نظريات الضغط بعامة، تفسيراً وظيفياً بنائياً للانحراف والسلوك الإجرامي. وتفترض النظرية وجود نمطين من الضغوط في المجتمع قد تدعم الانحراف والجريمة: الضغط البنائي، والضغط الفردي. ويشير الضغط البنائي إلى مجموعة القواعد والقوانين التي تؤثر سلباً على الكيفية التي من خلالها يُدرك الفرد حاجاته ووسائله والفرص المتاحة أمامه. أما الضغط الفردي فيشير إلى المشكلات التي يتعرض لها الأفراد في سعيهم لتلبية الحاجات، وإشباع الرغبات (Flynn, 2011c: 122 - 123).

(7) تهدف نظرية الحرمان النسبي إلى تفسير قرارات الأفراد المتعلقة بالانضمام إلى حركة اجتماعية أو تشكيل حركة اجتماعية. وتؤشر النظرية على أن مشاعر الحرمان والاستياء ترتبط بنقطة مرجعية مرغوبة (أي بجماعات مرجعية). وتنشأ مشاعر الحرمان النسبي عندما تصبح الرغبات توقعات مشروعة، ويعوق المجتمع تحقيق هذه الرغبات. ويمثل الرضا أو الإشباع الاجتماعي نقيض الحرمان النسبي. ويعتبر الحرمان النسبي بعامة متغيراً رئيساً في تفسير الحركات الاجتماعية وسعيها إلى إحداث تغير اجتماعي. وتنشأ الحركات الاجتماعية، وفق هذه النظرية، من مشاعر الحرمان النسبي (الذي يعرف بأنه الفجوة بين ما يمتلكه الفرد، وما يتوقعه). وتميز نظرية الحرمان النسبي بين الحرمان الأناني Egoistic deprivation والحرمان الأخوي Fraternal deprivation. ويشير الحرمان الأناني إلى شعور فرد معين بحرمان مقارن أو نسبي. بينما يشير الحرمان الأخوي، الذي يُصطلح عليه بالحرمان الجماعي، إلى الاستياء الذي ينشأ ويتولد من مكانة جماعة كلية عندما تقارن بجماعة مرجعية. ويمكن للحرمان الأخوي أن يدعم ويعضد الهوية الجمعية (Arthur & Mariel, 2007: 4482; Flynn, 2011d: 100 - 101).

(8) صيغت نظرية المجتمع الجماهيري في نهاية القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين كرد فعل لظهور صناعة الميديا، والتغيرات السسيوسياسية التي أفرزها التصنيع والتحضر وسقوط النظم السياسية الراسخة. وتروج هذه النظرية لرؤية لمجتمع يتسم بالاغتراب، وغياب الفردية، والتحلل الأخلاقي، وضعف الدين، والعلاقات الضعيفة أو الواهية، واللامبالاة السياسية (Flynn, 2011e:77).

(9) يُستعمل مصطلح scripts و schemas في علم النفس المعرفي ليعنيا شيئاً واحداً، وهو الصيغ أو المخططات المعرفية. وتمثل الصيغ المعرفية المعرفة المسلم بها. ويقرر عدد من الأنثروبولوجيين أن الصيغ المعرفية تمثل أسس ومرتكزات الثقافة (Barnard & Spencer, 1996: 166).

قائمة المراجع

1. سيمور – سميث شارلوت (1998)، *موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية*، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

2. Aelst, P. V. and Walgrave, S. (2004). *New media, new movements? The role of the internet in shaping the 'anti-globalization' movement*, in, Donk,

W., Loader, B. D., Nixon, P. G., Rucht, D., Cyberprotest: new media, citizens and social movements, London and New York, Routledge.
3. Appadurai, A. (1991). *Global ethnoscapes: notes and queries for a trasnational anthropology*, in, Fox, R., Recapturing Anthropology - Working in The present, Santafe, New Mexico, School of American Research Press.
4. Arthur, M. and Mariel, L. (2007).*Relative deprivation and social movements*, Ritzer, G. (ed.) The Blackwell Encyclopedia of Sociology, Blackwell Publishing Ltd.
5. Auyero, J. and Joseph, L. (2007).*Introduction: politics under the ethnographic microscope*, to, Joseph L., Mahler, M., andAuyero, J. (ed.), *New Perspectives in Political Ethnography*, New York, Springer.
6. Barnard, A. and Spencer, J. (eds.) (1996).*Encyclopedia of social and cultural anthropology*, London, Routledge.
7. Brodkin, K. (2005). A better world is possible? anthropology and social movements, *Identities: Global Studies in Culture and Power*, vol. 12.
8. Buechler, S. M. (2007). *New social movement Theory*, in, Ritzer, G. (ed.), The Blackwell Encyclopedia of Sociology, Blackwell Publishing Ltd
9. Christiansen, J.(2011a). *Four stages of social movements*, in, The Editors of Salem Press, Theories of social movements, California, Salem Press.
10. Christiansen, J.(2011b). *Framing theory*, in, The Editors of Salem Press, Theories of social movements, California, Salem Press.
11. Clifford, J. (1988). *The predicament of culture: twentieth century ethnography, literature and art*, Harvard University Press.
12.D'Andrade, R. G. and Strauss, C. (eds.) (1992).*Human motives and cultural models*, Cambridge, Cambridge University Press.
13. Donk, W., Loader, B. D., Nixon, P. G., Rucht, D. (2004).*Cyberprotest: new media, citizens and social movements*, London and New York, Routledge.
14. Edelman, M. (2001).Social movements: changing paradigms and forms of politics, *Annual Review of Anthropology*, vol. (30).
15. Eriksen, T. H. (2004).*What is anthropology*, London, Pluto press.
16. Ferraro, G. and Andrea, S. (2010). *Cultural anthropology: an applied perspective*, Australia, Wadsworth.
17. Flynn, S. I. (2011a).*New social movement theory*, in, The Editors of Salem Press, Theories of social movements, California, Salem Press.
18. Flynn, S. I. (2011b). *Value-Added Theory*, in, The Editors of Salem Press, Theories of social movements, California, Salem Press.

19. Flynn, S. I. (2011c). *Structural-strain theory*, in, The Editors of Salem Press, Theories of social movements, California, Salem Press.
20. Flynn, S. I. (2011d). *Relative deprivation theory*, in, The Editors of Salem Press, Theories of social movements, California, Salem Press,.
21. Flynn, S. I. (2011e). *Mass society theory*, in, The Editors of Salem Press, Theories of social movements, California, Salem Press.
22. Gabe, J., Bury, M. and Elston, M. A. (2004). *Key concepts in medical sociology*, London, Sage Publications.
23. Girling, J. (2004). *Social movements & symbolic power: radicalism, reform and the trial of democracy in France*, New York, Palgrave Macmillan.
24. Goldman, M. (2001).An ethnographic theory of democracy.politics from the viewpoint of Ilhéus's Black Movement (Bahia, Brazil), *Ethnos*, vol. 66
25. Gurak, L. J. (2005). *The promise and the peril of social action in cyberspace: ethos, delivery, and the protests over marketplace and the clipper chip*, in, Smith, M. A. and Kollock, P. (ed.). Communities in cyberspace, New York, Routledge.
26. Helmreich, S. (2001).After culture: reflection on the apparition of anthropology in artificial life, a science of simulation, *Cultural Anthropology*, Vol., 16 (4).
27. Hughey, M. W. (2008). *Social constructionist theory*, Parrillo, V. N. (ed.), Encyclopedia of social problems, California, Sage Publications.
28. Jasper, J. M. (2007a).*Cultural approaches in the sociology of social movements*, in, Klandermans, B. and Roggeband, C., Handbook of social movements across disciplines, New York, Springer.
29. Jasper, J. M. (2007b). *Social movements*, in, Ritzer George (ed.) The Blackwell Encyclopedia of Sociology, Blackwell Publishing Ltd.
30. Johnston, H. and Klandermans, B. (eds.) (2004a).*Social movements and culture*, Minneapolis, University of Minnesota Press.
31. Johnston, H. and Klandermans, B. (eds.) (2004b). *The cultural analysis of social movements*, in, Johnston, H. and Klandermans, B. (eds.). Social Movements and Culture, Minneapolis, University of Minnesota Press.
32. Kurtz, D. V. (2001). *Political anthropology: power and paradigms*, Colorado, Westview Press.
33. Lewellen, T. C. (2003). *Political anthropology: an introduction*, London, Praeger Publishers.

34. Lim, M., (2012).Clicks, cabs, and coffee houses: social media and oppositional movements in Egypt, 2004 – 2011, *Journal of Communication*, vol. 62,231–248.
35. McIntyre-Mills, J. J. (2005). *Global citizenship and social movements: creating transcultural webs of meaning for the new millennium*, Amsterdam, Harwood Academic Publishers.
36. Melucci, A. (2004). *The process of collective identity*, in, Johnston, H. and Klandermans, B. (eds.). Social Movements and Culture, Minneapolis, University of Minnesota Press.
37. Nicholas, R. W. (1973). Social and political movements, *Annual Review of Anthropology*.
38. Ortner, S. B. (1984). Theory in anthropology since the sixties, *Comparative Studies in Society and History*, Vol. (26), N. (1).
39. Osterweil, M. (2006).Social movements: an anthropological reader, *American Anthropologist*, vol. 108 (1).
40. Ribeiro, G. L. (1998). *Cybercultural politics: political activism at a distance in a transnational world*, in, Alvarez, S. E., Dagnino, E. and Escobar, A., Cultures of politics / politics of cultures: re – visioning Latin American social movements, Colorado, Westview Press.
41. Salman, T. and Assies, W. (2007).*Anthropology and the study of social movements*, in, Klandermans, B. and Roggeband, C., Handbook of social movements across disciplines, New York, Springer.
42. Sandvoss, C. (2006). *Social constructionism*, in, Turner, B. S., The Cambridge Dictionary of Sociology, Cambridge University Press.
43. Snow, D. A. (2004).*Framing processes, ideology, and discursive fields*, in, Snow, D. A., Soule, S. A., and Kriesi, H. (eds.). The Blackwell Companion to Social Movements, Oxford, Blackwell Publishing Ltd.
44. Soysal, L. (2009). Introduction: Triumph of culture, troubles of anthropology, *Focaal-European Journal of Anthropology*, vol. 55.
45. Spencer, J. (1996). *Marxism and anthropology*, In, Barnard, A. and Spencer, J. (eds.), Encyclopedia of Social and Cultural Anthropology, London, Routledge.
46. Spencer, J. (2007). *Anthropology, politics, and the state: democracy and violence in South Asia*, Cambridge, Cambridge University Press.
47. Staggenborg, S. (2005).*Social movement theory*, in, Ritzer, G. (ed.). Encyclopedia of social theory, California, Sage Publications.

48. Swindler, A. (2004).*Cultural power and social movements*, in, Johnston, H. and Klandermans, B. (eds.). Social Movements and Culture, Minneapolis, University of Minnesota Press.
49. Taylor, V. and Whittier, N. (2004).*Analytical approaches to social movement culture: the culture of the women's movement*, in, Johnston, H. and Klandermans, B. (eds.). Social Movements and Culture, Minneapolis, University of Minnesota Press.
50. Vincent, J. (2002). Political anthropology, in, Barnard, A. and Spencer, J. (eds.), Encyclopedia of social and cultural anthropology, London, Routledge.
51. Webster,F. (ed) (2001). *Culture and politics in the information age: a new politics?*, New York, Routledge.
52. Whooley, O. (2007). *Collective identity*, in, Ritzer, G. (ed.), The Blackwell Encyclopedia of Sociology, Blackwell Publishing Ltd.
53. Wienclaw, R. A. and Howson, A. (2011).*Major social movements*, in, The Editors of Salem Press, Theories of social movements, California, Salem Press.
54. Wieviorka, M. (2005).After new social movements, *Social Movement Studies*, Vol. 4, No. 1, May.
55. Witte, J. C. and Mannon, S. E. (2010), *The internet and social inequalities*, New York, Routledge.
56. Williams, R. H. (2004). *The cultural contexts of collective action: constraints, opportunities, and the symbolic life of social movements*, in, Snow, D. A., Soule, S. A., and Kriesi, H. (eds.). The Blackwell Companion to Social Movements, Oxford, Blackwell Publishing Ltd.
57. Williams, R. H. (2007). *Social movements and culture*, In, Ritzer, G. (ed.) The Blackwell Encyclopedia of Sociology, Blackwell Publishing Ltd.
58. Wright, S. (1998). The politicization of culture, *Anthropology Today*, vol.14, N. 1, February.Zhao, D. (2010). Theorizing the role of culture in social movements: Illustrated by protests and contentions in modern China, *Social Movement Studies*, Vol. 9, No. 1, January.